AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٤) - السنة (٤٨) - ربيع الأول ١٤٣٩هـ / ١ ديسمبر ٢٠١٧م

نواب ودستوريون كويتيون:
تأخير تشكيل الحكومة تعطيل للدستور

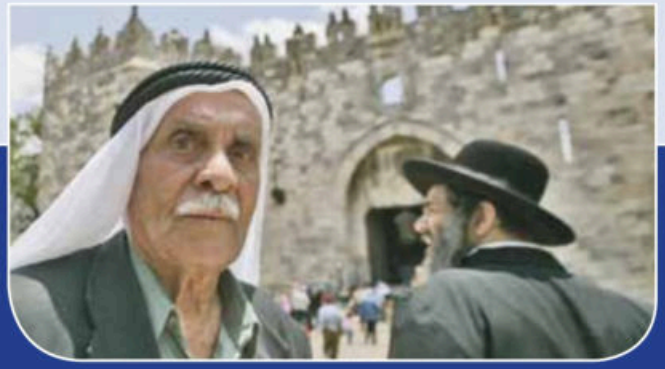

كيف عاش اليهود في ظل الأمة الإسلامية؟

الدعوة الإسلامية.. والإعلام

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً - السعودية ١٠ ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر ١٠ ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني - لبنان ٤٥٠٠ ليرة - المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

تبرع.. عن طريق الاستقطاع

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

للتواصل: 24834414 - 94064060 - 94064061

جمعية التكافل
لرعاية السجناء

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١١٤) - (السنة ٤٨)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة.
الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

الدعوة الإسلامية.. والإعلام

- نواب: تأخير التشكيل الحكومي تعطيل للدستور 6
- ملتقى الأقصى الـ 14: «وعد بلفور» أكبر جريمة بالتاريخ 8
- تونس: «الحقيقة والكرامة» تؤكد إنجاز مهامها قبل مايو .. 27
- المغرب: إعفاء الملك وزراء لا يمكن فصله عن حراك الريف 28
- تطور المشهد الليبي في ظل صراعات أقطاب «عملية الكرامة» ... 30
- استفتاء كردستان ومستقبل العلاقة بين أربيل وأنقرة 32
- أكسفورد تسحب «وسام الحرية» من زعيمة ميانمار 34
- «الشيخوخة» في القرن الحادي والعشرين 42
- البجعة السوداء.. تداعيات الأحداث غير المتوقعة 53
- هذا ما يريده الأمريكيون من ترمب في الشرق الأوسط 60

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات:
امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

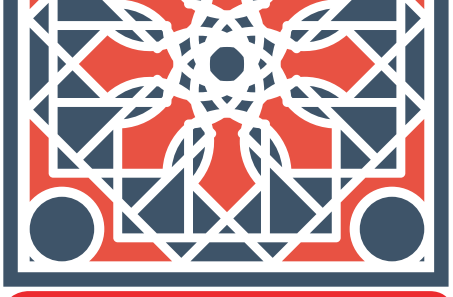

آية العدد

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

(سورة آل عمران)

ملفات خاصة عن

اقتصاد إسلامي- دراسات - تربوي
فكر وثقافة - استشارات أسرية

مقالات

الحب الحقيقي
د. أحمد عيسى 58

فلسطين في القرآن الكريم
د. إبراهيم مهنا 62

ربانية العلم
د. يوسف السند 66

قطـر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف : 723763
المغـرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الـدار البيضـاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

ادخل على موقع «المجتمع»

رأي المجتمع

الغوطة الشرقية تتعرض للإبادة ولا مغيث

تفاقم الوضع الإنساني في منطقة الغوطة الشرقية المحاصرة منذ أربع سنوات من قبل قوات «بشار الأسد».

فالمنطقة الواقعة على أبواب دمشق تختنق من الحصار منذ النصف الثاني من عام ٢٠١٣م، ولا يكتفي نظام «بشار» بحصارها، بل يمطرها يومياً بوابل من القصف المتواصل.

ويشهد الوضع الإنساني في هذه المنطقة، التي يسكنها ما يقارب ٣٧٥ ألف نسمة، منذ أسابيع تدهوراً شديداً بسبب القصف المتواصل للقوات الحكومية والطائرات الروسية، رغم أن الغوطة الشرقية إحدى المناطق الأربع المعروفة بمناطق «خفض التوتر».

هذا القصف طال كل شيء في المنطقة، بما في ذلك نقاط توزيع المساعدات الإنسانية والبنى التحتية المدنية الأخرى.

وأدى هذا الوضع إلى وفاة أعداد كبيرة من الناس، بعد أن انتشر الجوع، وتفشى سوء التغذية، خاصة بين الأطفال، وهناك نقص حاد في الأدوية واللوازم الطبية، ومعظم المواد الغذائية التي يمكن أن توجد ثمنها باهظ.

وقد حالَ تشديد الحصار والتصعيد من العمليات العسكرية من قبل النظام دون إرسال قوافل إنسانية جديدة، ولا يمكن إرسال المساعدات دون موافقة الحكومة السورية، التي اتخذت الحصار والعقوبات الجماعية تكتيكاً حربياً لإجبار فصائل المعارضة المسلحة على الاستسلام، غير أن المتضرر الأكبر -حسب الأمم المتحدة- هم المدنيون.

ويدخل حصار الغوطة الشرقية في سياق الأسلحة التي يستخدمها النظام لضرب أي بيئة شعبية حاضنة للثورة ضده، منذ مارس ٢٠١١م، ويبدو أن لسلاح «الجوع أو الركوع» خصوصية في دوائر صناعة القرار بدمشق، فتكاليفه على النظام مقارنة بالقصف والطلعات الجوية والعمليات العسكرية الهجومية قليلة جداً وتكاد تنعدم، مقابل نتائج كبيرة ترسخها منهجية التجويع في نفوس أصحاب الأمعاء الخاوية، الذين يُراد لهم أن يُضطروا قسراً للخضوع من أجل البقاء.

كل ذلك يحدث ولا نرى أي تحركات دولية لحماية الأرواح التي تُزهق يومياً سواء بالقصف بالقنابل والصواريخ أو بالجوع، وخاصة من قبل مجلس الأمن الدولي الذي يلفه صمت مطبق، في حين نراه منتفضاً عندما يتعرض الكيان الصهيوني أو الدول الغربية لأي تهديدات.

فعلى الأمم المتحدة ومجلس أمنها، وكذلك الأطراف الدولية الضامنة لـ«خفض التوتر» بالمنطقة أن تضطلع بمسؤولياتها، وتعمل بأقصى سرعة ممكنة على فك هذا الحصار الجائر عن أهل البلدة، وتمنع الانهيار المتدهور في أساسيات المعيشة والخدمات، وتوقف نزيف الدم المتواصل، وأن تقتلع هذا النظام المجرم في حق شعبه.■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

تجددت المطالب النيابية باستعجال تشكيل الحكومة الجديدة، حيث قال النائب د. جمعان الحربش: تأخير التشكيل الحكومي تعطيل للدستور، والسوابق التي حدثت في المجالس السابقة لا تبرره، علماً بأنه سبق أن قدمتُ وبعض النواب استجواباً لرئيس الوزراء السابق كان أحد محاوره: «تعطيل أحكام الدستور بتأخير التشكيل الحكومي».

نواب ودستوريون:

تأخير التشكيل الحكومي تعطيل للدستور

كتب: سامح أبوالحسن

قال النائب د. جمعان الحربش: تفهُّمنا لرسالة سمو الأمير بالتهدئة لا تبرر لرئيس الوزراء تعطيل أعمال المجلس لمدة تجاوزت الشهر، إلا إذا كان لهذا التعطيل غاية أخرى في نفس يعقوب سيقضيها، لكن بالتأكيد لن يعود هذا الأمر عليكم بما ترجون.

واعتبر النائب محمد الدلال أن تأخير تشكيل الحكومة إن لم يُبْنَ على رؤية معلنة وجديدة ومتطورة لمنهجية الاختيار والتشكيل يعد تأخيراً غير مبرر إطلاقاً، مشيراً إلى أن استمرار الآليات والطرق السابقة ذاتها في اختيار الوزراء يؤدي إلى نتائج عقيمة ومزيد من التعطيل والعلاقة السلبية بين السلطتين.

وقال الدلال: ليس مبرراً كافياً لتأخير تشكيل الوزارة ما يقال بأننا نحتاج هدوءاً، فالأزمات في الخليج والإقليم مرشحة للاستمرار لفترات طويلة، مشيراً إلى أن الهدوء والتفهم يأتي إذا توافرت حكومة جديدة رشيدة وفاعلة وشفافة تعمل لمواجهة تحديات الداخل والخارج، وتمد يد التعاون الصادق والعملي مع المجلس.

فيما دعا النائب أسامة الشاهين إلى انعقاد الجلسات العادية لمجلس الأمة، مبيناً أن هناك أولويات تشريعية ورقابية عديدة مزدحمة على جدول أعمال المجلس.

وقال الشاهين: إن الاقتراحات بقوانين مدرجة على جدول الأعمال، وإجابات الأسئلة البرلمانية تنتظر النقاش، وتقارير اللجان الدائمة والمؤقتة ولجان التحقيق تحمل توصيات ونتائج مهمة.

وأضاف أن الوضع الإقليمي المتوتر يتطلب من الحكومة إحاطة ممثلي الأمة المنتخبين بالاستعدادات والتطورات أولاً بأول، داعياً رئيس وأعضاء المجلس إلى عقد الجلسات العادية لمجلس الأمة من دون تأجيل أو تعطيل غير مبرر لمصالح الوطن والمواطنين.

وأكد الشاهين أن الدستور حرص على انتظام جلسات مجلس الأمة، وعليه قام بوضع ثلاثة شروط لصحة انعقادها، وهي انعقاد الجلسة في الزمان الصحيح والمكان الصحيح وتوافر النصاب الصحيح وهو أغلبية الأعضاء الذين يتألف منهم المجلس.

وأوضح أن دستور ١٩٦٢م قيّد حالات تأجيل الجلسات بحالة المادة (١٠٦) بما بينته من شروط، أولها صدور مرسوم وعدم جواز زيادة المدة عن شهر وعدم تكرار التأجيل في دور الانعقاد أكثر من مرة وعدم احتساب مدة التأجيل ضمن دور الانعقاد، مشدداً على أنه لا يجوز التوسع بالاستثناء الوارد حصراً في المادة المشار إليها.

وأكد الشاهين أن حضور الحكومة ليس من شروط انعقاد الجلسات وصحة قراراتها، بل إنه ورد في المادة (١١٦) كواجب دستوري وسياسي على الحكومة، ولا يصح أن يفرض الدستور على طرف واجباً ثم يعاقب طرفاً آخر عند إخلال الأول بواجبه.

وتساءل الشاهين: لماذا

الحربش: تفهُّمنا لرسالة سمو الأمير بالتهدئة لا تبرر لرئيس الوزراء تعطيل أعمال المجلس

الشاهين: حضور الحكومة ليس من شروط انعقاد الجلسات وصحة قراراتها

المقاطع: ورقة تشكيل الحكومة تبرهن حالة التراجع والضعف التي بلغتها الدولة

يعاقب المجلس بسبب إخلال الحكومة بواجبها في حضور الجلسات العامة، خصوصاً أن المادة المذكورة تكلمت عن حضور الرئيس (أو) بعض الوزراء، ونحن أمام حالة قانونية يوجد فيها رئيس وزراء مكلف وقادر على حضور الجلسات قياماً بواجبه، إذا افترضنا أن الوزراء بحكم استقالاتهم المقبولة لا يقدرون على الحضور؟

وكشف الشاهين عن تبنيه اقتراحاً بقانون سبق أن قدمه النواب السابقون أحمد السعدون، ومسلم البراك، ومرزوق الحبيني، وعبدالواحد العوضي، ود. حسن جوهر، في مجلس ٢٠٠٩م، مفاده انعقاد الجلسة متى ما اكتمل النصاب القانوني من دون أن يخل بذلك كون الحاضرين جميعاً من الأعضاء المنتخبين دون المعينين بحكم مناصبهم، آملاً من اللجنة التشريعية الاستعجال في إقراره وإعداد التقرير اللازم بشأنه تفادياً لهذه الممارسة العملية الخاطئة.

وقال الخبير الدستوري د. محمد المقاطع في مقال له نشره بصحيفة «القبس»: إن ورقة تشكيل الحكومة أحد الشواهد الحية التي تبرز حجم العجز الذي وصلت إليه الدولة في التعامل مع أي ملف من الملفات المهمة وطنياً، وهو دلالة أبلغ في بيان التراجع المخيف في أداء الدولة ومؤسساتها من جهة، وضعف السلطتين؛ التنفيذية والتشريعية، وعدم تمكنهما من أن تكونا قادرتين على التعامل مع قضايا الوطن وجميع ملفاته الملحة والمعلقة منذ سنوات عدة بشكل فعال ومؤثر.

ومن الناحية القانونية، قال المقاطع: إن تشكيل الحكومة لا يحظى بأجل مفتوح ومدة غير محددة، فمعاني القانون ونصوصه تتعلق بأسس النظام البرلماني ومقاصده وطبيعته بشكل عام والنظام البرلماني الكويتي بشكل خاص، بل يغيب عن هؤلاء المواعيد الزمنية التي ترتبط بوجود حكومة ينبغي تشكيلها خلال أسبوعين، والفراغ الدستوري الذي يترتب حتماً على فوات هذه المدة، فهو فراغ يعطل وجود حكومة أصلاً.

وأضاف أن تأخر تشكيل الحكومة عن أسبوعين يعطل انعقاد المجلس ومواعيد وأعمالاً محددة بمدد وإجراءات مقررة، ويعطل نصوصاً دستورية ولائحية عدة، فترك تشكيل الحكومة بلا قيد زمني يعني يمكن أن تمتد لشهرين أو سنة أو سنتين! وهذا كلام منطقه غير صحيح، وأي ممارسات لإسناده تكون، من ثم، داحضة لما سبق من إيضاح، ولكل ما سبق، ندرك كيف أن ورقة تشكيل الحكومة تبرهن على حالة التراجع والضعف التي بلغتها الدولة.■

نظمته «الإصلاح» بالتعاون مع ملتقى القدس الثقافي تزامناً مع الذكرى المئوية..

ملتقى الأقصى الـ١٤: «وعد بلفور» أكبر جريمة ترتكب في التاريخ

نظمت جمعية الإصلاح الاجتماعي بالتعاون مع ملتقى القدس الثقافي، «ملتقى الأقصى السنوي الـ١٤»، الذي عقد في الفترة من ٢١ – ٢٤ نوفمبر الماضي، تزامناً مع ذكرى مئوية «وعد بلفور» المشؤوم، بحضور جمع غفير من الباحثين والأكاديميين والعلماء والدعاة والوجهاء ومختلف الجاليات المقيمة على أرض الكويت.

كتب: سيف محمد

أُفتتح الملتقى بندوة حوارية أقيمت على مسرح جمعية الإصلاح الاجتماعي، أدارها عضو هيئة علماء فلسطين في الخارج د. إبراهيم المهنا، وناقشت ثلاثة محاور أساسية؛ المحور التاريخي، والمحور السياسي والقانوني، والمحور الديني والتعبوي، حيث أكد المشاركون أن بريطانيا أعطت ما لا تملك (أرض فلسطين) لمن لا يستحق (للصهاينة)، وأن الحركة الصهيونية حركة عنصرية استيطانية استعمارية احتلت أرض فلسطين من سكانها الأصليين والصفقة معها خاسرة، وأن المقاومة وسلاحها حق مشروع لا مساومة عليه، وضرورة التركيز على الخطاب الديني التأصيلي الذي ينبغي للأمة من خلاله شحذ الهمم وغرس حقيقة المسلم وموقفه من قضايا أمته، وأن تتحمل مؤسسات الدولة مسؤولية إيصال صوت ضمير الأمة إلى أصحاب القرار.

وقال نائب رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح يوسف علي عبدالرحيم: الملتقى يأتي والقضية الفلسطينية ومقدساتنا في فلسطين أصبحت على مفترق طرق، مع وجود أحداث متسارعة تأتي تزامناً مع ذكرى مئوية «وعد بلفور» الذي أعطى ما لا يملك لمن لا يستحق، ومثّل التزاماً غربياً بتمكين الصهاينة من احتلال القدس وأرض فلسطين.

وأكد عبدالرحيم أن ملتقى الأقصى خطوة مباركة من خطوات وجهود تقوم بها جمعية الإصلاح لنصرة المسجد وتعريف المجتمع بقضيته وتأكيد وجوب نصرته على كل مسلم.

وأشار إلى أن جمعية الإصلاح أدانت في العديد من بياناتها الاعتداءات المتكررة على المسجد من قبل الصهاينة، ودعت كل المنظمات الإسلامية والعربية والعالمية لمواجهة هذه الاعتداءات الهمجية في ظل الصمت والتواطؤ الدولي، وأكدت الجمعية أن التداعي لاتخاذ موقف حازم وإجراءات صارمة لحماية المسجد الأقصى المبارك وتثبيت أهله المرابطين أصبح أمراً لازماً.

وعود متناقضة

في المحور التاريخي، قال الباحث الفلسطيني رئيس هيئة أرض فلسطين د. سلمان أبو ستة: مر ١٠٠ عام على أطول حرب في

التاريخ، ١٠٠ عام مرت على شعب فلسطين الذي يحارب كل القوى الاستعمارية مجتمعة وتعمل معاً، ولا يزال الشعب صامداً وقادراً على المقاومة، وأضاف: لقد زاد عدد الفلسطينيين منذ عام ١٩١٧م من ٧٠٠ ألف شخص إلى ١٣ مليون فلسطيني، نصفهم يعيشون على أرض فلسطين والنصف الآخر على حدودها.

وحول الوعود المتناقضة لبريطانيا قال أبو ستة: لا يمكن أن تأمن للاستعمار ولأعداء الأمة مهما وعدوا، موضحاً أنه مهما كانت أسباب التحالف والتقرب مع الأعداء فإنها فاشلة تاريخياً وإسلامياً ووطنياً.

وقال أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت د. شفيق الغبرا: إن «وعد بلفور» مشروع صهيوني اشتغل عليه عدة شهور، وكتب عدة مرات، ولم يأتِ بشكل عفوي، ومرتبط بـ«سايكس بيكو»، ورفع إلى مجلس الوزراء البريطاني أواخر أكتوبر ١٩١٧م، وكانت هناك مذكرة احتجاج من أحد اللوردات البريطانيين وتحدث عن خطر الوعد على أصحاب الأرض الأصليين، ولم يهتم مجلس الوزراء حينها بهذه المذكرة.

الموقف العربي والدولي

وفي المحور السياسي والقانوني، وحول الموقف الأوروبي والأمريكي من إعلان «وعد بلفور»، قال أبو ستة: الموقف الدولي معروف وهو دعم الكيان الصهيوني، أما الدول العربية فلم تستطع فعل شيء لفلسطين.

وحول الحملة التي أطلقها نشطاء فلسطينيون بالطلب من بريطانيا الاعتذار ما إذا كانت قد فشلت، بيّن أبو ستة أن ثلاثة أرباع الشعب البريطاني يؤيدون حقوق الشعب الفلسطيني، موضحاً أن هناك فريقين؛ فريق التيار الشعبي وهو مؤيد للحقوق الفلسطينية، والفريق الرسمي الذي وصفه بـ«الصهيوني حتى النخاع».

وقال: لا تزال الفجوة قائمة بين التيار الشعبي والحكومي في أوروبا، ولكي نسارع في التغيير علينا أن نُشعر بريطانيا أنه لا مجال للتعاون والتعامل معهم.

وحول ما بعد «اتفاق أوسلو» وإلى أين تسير المنطقة، أوضح د. شفيق الغبرا بأن أوسلو انتهى، مبيناً بأن هناك حقائق سياسية على الأرض اليوم، هي أنه في غزة هناك سلطة «حماس» وجيش المقاومة «القسام»، وهو جيش وطني للشعب، مر بتجربة جعلته يمثل حالة مهمة بالقوة المسلحة، وهناك خطورة على سلاحه، وبعيداً عن المصالحة الفلسطينية هنا وهناك والأحداث المتسارعة، إلا أنه لا مساومة على المقاومة وسلاحها وذلك لقيمتها النضالية.

أما في الضفة، قال الغبرا: هناك سلطة فلسطينية على جزء صغير من الأرض، وهي تعيش في مأزق كبير؛ ٦٠٪ من الضفة تحت الاحتلال المباشر، وهي محاطة بجدار، كما أن غزة محاطة بجدار في الوقت نفسه، القدس معزولة عن مناطق السلطة، وأشار إلى أن ٦ ملايين مواطن عربي فلسطيني مسلم ومسيحي يعيشون الآن على الأرض التاريخية.

وأوضح الغبرا أن الحركة الصهيونية استبدت وقمعت وقتلت وشردت الملايين من الشعب الفلسطيني، ولكن المجتمع الفلسطيني لديه روح المقاومة التي تتجلى بالبقاء على الأرض والمحافظة على المقدسات.

وقال: إن الحركة الصهيونية حركة عنصرية استيطانية استعمارية، الصفقة معها خاسرة بحكم أنها لا تريد صفقة وتسعى إلى مشروعها الإحلالي.

أما المحور الديني والتعبوي، فقد أوضح الداعية الإسلامي ناصر شمس الدين أن القضية الفلسطينية هي الجرح الذي في الجبين، وينبغي أن توظف كل الجهود للعمل على إحيائها.

وأشار في مداخلته إلى أن الخطاب الديني ينبغي أن يكون ضمن مسارين؛ الأول: تنشيطي تذكيري؛ وهو السائد كالمهرجانات والخطب والمؤتمرات والندوات.. وغيرها، والثاني: وهو الأهم؛ الخطاب التأصيلي الذي ينبغي للأمة من خلاله شحذ الهمم وغرس حقيقة المسلم وموقفه من قضايا أمته وما هو المطلوب، وأن تتحمل مؤسسات الدولة مسؤولية إيصال صوت ضمير الأمة إلى أصحاب القرار.

وبين أنه لا بد أن يكون الخطاب التأصيلي اليوم موجهاً إلى حقيقة تفكيك المصطلحات المزيفة، اليوم يروج للخنوع والخضوع والتنازل عن قضايا هي من صميم الإيمان بحجة التطبيع وحجة جواز الصلح مع اليهود والتدلل بفتاوى علماء لا تتماشى وحقيقة ما يسوغ له من بنود للتطبيع.

وختم شمس الدين كلامه بالتأكيد على التمسك بوعد الله في زوال الكيان الصهيوني، داعياً إلى الأخذ بالأسباب لتحقيق النصر الموعود.

مهرجان إنشادي

وفي فعاليات الملتقى، أقيم مهرجان إنشادي دعماً للقضية الفلسطينية ورفضاً لـ«وعد بلفور»، حضره المئات من المواطنين والمقيمين بمشاركة عدد من نجوم الشعر والفن الإسلامي في ربوع الوطن العربي، حيث لاقى تفاعلاً واسعاً من الجمهور.

وأقيم عرض ثلاثي الأبعاد تحت عنوان «تجول داخل المسجد الأقصى ومتع ناظريك بمعالمه»، وذلك بحضور جمع من أهالي الكويت ورئيس قسم التعاون الإسلامي في جمعية الإصلاح الشيخ عبدالله العتيقي، وعدد من مختلف الجاليات الهندية والإندونيسية والفلبينية والأفغانية والنيجيرية والمصرية والفلسطينية، حيث تم عرض معالم المسجد الأقصى المبارك من حيث التاريخ والأهمية.

وذكر نور الدين خضر، المحاضر في شؤون المسجد الأقصى، أن الهدف من هذا العرض هو إثبات أن المسجد الأقصى ما دار عليه السور من خلال آراء كثير من العلماء ومن خلال الفن في البنيان وتوزيع معالم المسجد داخله.

وأوضح خضر أن ما داخل السور كل ما هو فوق الأرض وتحتها، واستعرض أبواب المسجد الأقصى، وقال: إن المسجد الأقصى به ١٥ باباً؛ ١٠ مفتوحة و٥ مغلقة.

وأشار في عرضه إلى باب المغاربة الذي منع الاحتلال العرب والمسلمين من دخوله منذ عام ١٩٦٧م الذي من خلاله يقتحم الصهاينة المسجد الأقصى، كما أشار إلى باب الأسباط الذي شهد في شهر يوليو الماضي هبة المقدسيين بعد أن منعوا من دخوله عندما أراد الاحتلال إغلاقه بعدما أغلق عدة أبواب بالأجهزة الإلكترونية فمنعه المقدسيون ودخلوا الباب عنوة دفاعاً عن المسجد الأقصى.

ولفت خضر إلى خطورة الحفريات التي يقوم بها الاحتلال، مشيراً إلى أن هناك معلومات غير كافية إلى أين تسير هذه الحفريات.■

جمعية الإصلاح الاجتماعي.. جهود دعوية وإغاثية

كتب: المحرر المحلي

أقامت الرحمة العالمية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي الملتقى الدوري للأئمة والدعاة، وذلك في قاعة مركز هداية التابع للرحمة العالمية في جنوب تايلاند بمشاركة ١٥٠ إماماً وداعية، الذي اشتمل على كلمة الافتتاح ومحاضرتين؛ جاءت الأولى تحت عنوان «دعوة للتآخي والترابط والاعتصام بحبل الله»، وجاءت الثانية تحت عنوان «دور ومسؤولية الأئمة تجاه قضايا المجتمع»، ثم جلسة حوارية مفتوحة مع عروض لتجارب ناجحة، وجاءت جلسات أعمال الملتقى حافلة بمواضيع ملحة ومهمة تصب في مصلحة الجميع.

من جانب آخر، افتتحت الرحمة العالمية مركزين إسلاميين في العاصمة الإندونيسية جاكرتا، يتكون المركز الواحد من مسجد وفصلين دراسيين لتحفيظ القرآن الكريم، وذلك انطلاقاً من عدة أهداف؛ أهمها تفعيل دور المسجد في حياة المسلم كمكان للعبادة، وإحياء لرسالة المسجد في نشر العلم الشرعي، وإقامة العديد من الأنشطة الدعوية والثقافية والتعليمية داخل الفصول الدراسية، وإعداد جيل من الشباب واع بتعاليم الدين الحنيف، وجعل المركز منارة لتربية وتثقيف أبناء المسلمين.

كما أقامت الرحمة دورة في اللغة العربية للطلاب والطالبات الحاصلين على الثانوية العامة في إندونيسيا على مدار فصلين دراسيين، ينتهي في ٥ مايو ٢٠١٨م، شارك فيها ٣٨ طالباً وطالبة وتهدف إلى تمكين الدارسين من التمييز السمعي للأصوات العربية، ونطقها نطقاً سليماً، ومساعدة الدارس على فهم ما يسمع في مواقف الحياة اليومية.

وفي العمل الإغاثي، سيّرت الرحمة العالمية قافلة مساعدات إلى السوريين النازحين من دير الزور، استفاد منها أكثر من ٧٠٠ أسرة؛ أي حوالي ٣٥٠٠ مستفيد، واستفاد من الحقيبة الشتوية والسلة الغذائية ٥٠٠ أسرة، وقد اشتملت الحقيبة الواحدة على فرشتين إسفنج، و٤ بطانيات صوف، ووسادة ضغط سرير وعازل أرضي طبقتين، بينما استفاد من السلة الغذائية فقط أكثر من ٢٠٠ أسرة، وتكونت من «مرتديلا وسردين وتونة وحلاوة وجبنة مطبوخة وحمص جاهز وبسكويت وعصائر وماء وخبز»، وحرصت الرحمة العالمية على أن تكون السلة الغذائية جاهزة للأكل، وذلك لعدم توافر الإمكانيات التي يستطيع من خلالها النازحون طهي الأطعمة.

ومن جانبها، اعتمدت نماء للزكاة والتنمية المجتمعية بجمعية الإصلاح الاجتماعي مسطرة علمية لتقييم واعتماد المشروعات الخيرية والإنسانية الجديدة؛ وذلك بهدف ترشيد القرار في اعتماد أي مشروعات خيرية جديدة تفيد المحتاجين بعيداً عن الارتجالية والانطباعات الذهنية، واعتماد المشاريع الخيرية الجديدة من خلال أدوات علمية مدروسة، حيث كان الاعتماد في السابق عن طريق عرض مدى الحاجة للمشروع وأهميته في خدمة المحتاجين.

ومن جانب آخر، شاركت نماء في الملتقى الدولي الثالث لقيادات منظمات المجتمع المدني، الذي عقد تحت شعار «القيادة الاستباقية ودورها في تحصين مكتسبات العمل الخيري والمجتمعي» في فندق روتانا داون تاون في مملكة البحرين، تحت رعاية رئيس مجلس الشبكة الإقليمية للمسؤولية المجتمعية البروفيسور يوسف عبدالغفار، على مدار ثلاثة أيام، وشاركت فيه العديد من المؤسسات والجمعيات الخيرية الرائدة في العمل الخيري والإنساني، الذي يأتي ليسلط الضوء على موضوع القيادة الاستباقية ودورها في تحصين مكتسبات العمل الخيري والمجتمعي، ليؤكد أن هذا العصر هو عصر اعتماد أدوات احترافية لإدارة أعمالنا الخيرية والإنسانية، ويعد الملتقى فرصة لقيادات نماء للقاء أصحاب الرأي والفكر الإداري والقيادي في العالم العربي، باعتبار القيادات هم أصحاب المبادرات في توجيه منظماتهم نحو اعتماد منهجيات مهنية وعلمية في إدارة تلك الموارد المتعددة التي تمتلكها منظماتهم لصالح تنمية المجتمعات والحفاظ عليها. ■

• صورة من داخل أحد المراكز الإسلامية

الدعوة الإسلامية.. والإعلام

الدعوة والإعلام.. صنوان لا يفترقان؛ فالدعوة في أبسط معانيها هي البلاغ، ولا يكون بلاغ دون وسيلة إعلامية تنقل الرسالة المراد بلاغها إلى الشريحة المستهدفة من الناس؛ لذا كلما ازداد اهتمام الدعوات بالإعلام كان ذلك عاملاً مهماً في سعة انتشارها وقوة تأثيرها.

والدعوة الإسلامية وضعت هذا الأمر في أولوياتها منذ البعثة النبوية المباركة؛ حيث كان المسجد إحدى الركائز الدعوية التي انطلقت منها الرسالة، ثم تطورت وسائل الإعلام شيئاً فشيئاً، فحرص المسلمون على توظيفها والاستفادة منها في تبليغ رسالتهم للعالمين.

وفي العصر الحديث، شهد العالم طفرة تكنولوجية قوية في مجال الإعلام ووسائله، كما شهد تنافساً قوياً بين أتباع الأديان والدعوات لتسخير هذه الوسائل؛ وهو ما يحتّم على أمة البلاغ أن تكون على قدر المنافسة، وأن تناجز غيرها في هذا الميدان حتى تكون على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقها.

وتعد مجلة «المجتمع» إحدى الوسائل الإعلامية التي تسعى إلى تقديم رسالة إعلامية هادفة وبناءة، مستلهمة من الماضي أصالته ومن الواقع معاصرته، وهي في هذا الملف تفتح هذه القضية المهمة التي تعنى بالدعوة والإعلام، ساعية إلى إلقاء الضوء على إشكاليات الواقع، ومتطلبات المستقبل، مع الإجابة عن سؤال: كيف تستفيد الدعوة من وسائل الإعلام والتواصل الحديثة؟■

الإعلام الإسلامي..
إشكاليات الواقع والمصطلح

يتراوح المختصون والمهتمون في التعامل مع «الإعلام الإسلامي» بين التمسك الكامل بالمصطلح انطلاقاً من مفهوم الإسلام الشامل الذي يضم بين طياته كل مناحي الحياة التي يمثل الإعلام أحد أبرز جوانبها من ناحية، ومن يرفض المصطلح جملة وتفصيلاً فلا يرى مجالاً للربط بين الإسلام أو الدين من ناحية، والإعلام أو أي من مجالات الحياة من ناحية أخرى.

عادل الأنصاري
رئيس تحرير جريدة «الحرية والعدالة» - مصر

في الوقت الذي يتحمس فيه البعض للمصطلح انطلاقاً من فهمه الشامل للإسلام واعتقاداً جازماً بإسهامات الإسلام البينة في كافة مجالات الحياة ومختلف مؤسساتها، فإن فريقاً يرى أنه لا مجال للربط بين الإسلام والإعلام، ولا مجال لتصنيف الإعلام على أنه إسلامي أو ليبرالي أو اشتراكي.

بيد أن محاولة التفاعل مع المفهوم قبل المصطلح والتعامل مع المعاني قبل المباني يمكن أن يمثل مدخلاً جيداً لتحليل المصطلحات وتحرير المفاهيم لنصل إلى عمقها، ونقف على دلالاتها، ونركز على إسقاطاتها على الواقع بديلاً عن الاختلاف على الألفاظ أو الوقوف على المباني والعبارات؛ وهو ما قصده الفقهاء الأقدمون الذين أكدوا أنه «لا مشاحة في الاصطلاح».

ولنا في هذا الموضوع وقفات وتساؤلات نراها لازمة للتعرف والتعامل مع مفهوم الإعلام الإسلامي قبل التعامل مع المصطلح ذاته، وأول هذه الوقفات والتساؤلات:

١- بين الإسلامي والدعوي:

فمن المستيقن والمستقر أن الإسلام دين شامل ينتظم شؤون الحياة كلها، والإعلام مكون من مكونات هذه الحياة ولازمة من لوازمه وحاجة من حاجاته، وفي الوقت نفسه؛ فإن الدعوة شأن من شؤون الإسلام ولازمة من لوازمه التي ينتشر بها ويقوى من خلالها ويتعرف الناس عليه من طريقها.

ولعلنا بالوقوف بين المفهومين نستطيع أن ندرك أن

هناك إعلاماً دعوياً يرتكز ويهتم بطرح الأفكار الدعوية ونقل المفاهيم ذات الصلة بها من خلال أدوات ووسائل إعلامية، فالصحف والمجلات والقنوات والإذاعات التي ترتكز على التفاعل والتعامل مع المحتوى الدعوي يمكن أن يكون مصطلح الإعلام الدعوي هو الأقرب لها من مصطلح الإعلام الإسلامي.

ونضرب هنا أمثلة لإذاعات القرآن الكريم ومجلات مثل مجلة «الأزهر» وغيرها من الصحف والمنافذ الإعلامية، نرى أنها نوع من الإعلام الدعوي الخاص، أما تلك المجلات والصحف والمواقع والقنوات التي تتناول في محتواها شؤوناً منوعة في السياسة والاقتصاد والفكر ومختلف مناحي الحياة من خلال اجتهاد ينطلق من الإسلام فهي الأقرب إلى مصطلح الإعلام الإسلامي منها إلى مصطلح الإعلام الدعوي.

٢- بين الإعلام الديني والإعلام الدعوي:

والفارق الذي نراه شاسعاً بين الأمرين أن الإعلام الدعوي وإن كان مختصاً في الدعوة فهو ينطلق من رؤية الإسلام الشامل لا القاصر أو المنعزل عن الحياة بكافة تشابكاتها ومكوناتها.

بينما الإعلام الديني نرى أنه مصطلح يضمر عزلة الدين في مفهوم دون غيره، وفي مجال دون سواه، ويحرم الإسلام -على خلاف طبيعته وتكوينه- من ملامسة الواقع والتعامل معه.

ولعلنا نجد تشابهاً في الفروقات بين الإعلام الدعوي

الإعلام الدعوي يطرح الأفكار الدعوية أما الإعلام الإسلامي فيتناول السياسة والاقتصاد والفكر ومختلف مناحي الحياة

مصطلح الإعلام الديني يضمر عزلة الدين ويحرم الإسلام من ملامسة الواقع والتعامل معه

والإعلام الديني عندما نقترب من الفروق بين مصطلح عالم الدين الذي ينزع القدسية ممن تبحروا في علوم الدين، ومصطلح رجل الدين الذي يضفي قداسة على العلماء تمنع من محاسبتهم وتقويم سلوكهم.

٣- بين الإعلام والإعلام الإسلامي:

هناك من يرى أن الإعلام له أدواته ووسائله وطرائق عمله الثابتة ولا مجال لوصفه بالإسلامي أو الليبرالي أو الاشتراكي، فالإعلام في نظر هؤلاء إعلام يحمل قيماً ذاتية وأدوات خاصة ومكونات محددة ولا تصلح أن تميل إلى عقيدة أو أيديولوجية.

ونرى أنه من الإنصاف ألا نغمط الإعلام حقه من اشتماله على قيم وأدوات مستقلة، إلا أنه من غير الإنصاف -في المقابل- أن نتجاهل حزمة القيم المضافة التي يرفد بها الإسلام الإعلام كما في غيره من مجالات الحياة ومن ذلك:

- صياغة الموارد البشرية التي تؤمن بشمول الإسلام وقيمه ومبادئه وتحترف العمل الإعلامي صياغة خاصة تعلي من القيم وتعمق دلالات ومفاهيم المصداقية والخصوصية والأمانة والشفافية والعدالة بصورة تفصيلية، فإذا كان الإعلام يشترط فيمن يمتهنه أن يتحلى عند ممارسة مهنته بهذه الصفات، فالإسلام يعمق هذه المفاهيم ويمثل ضمانة لتطبيقها في وجود القانون وفي غيابه سواء بسواء.

- تعميق مفهوم المسؤولية لدى المؤسسات الإعلامية، بحيث يحمل أهدافاً تقع في دائرة احتياجات المجتمع تسهم في تقدمه وتطوره، ولا تكتفي بتلبية الحاجات والغرائز بعيداً عن المسؤولية التي ترتقي بالمجتمع وتحافظ على ثوابته وقيمه؛ إذ إن بديل هذه المسؤولية إطلاق العنان لرغبات الأفراد وميولهم حتى وإن ساقت المجتمعات إلى حتفها.

وحتى يستقيم المعنى لا بد أن نؤكد أن المسؤولية ليست في هذه الحالة ضرباً من الوصاية على المجتمع أو نوعاً من تحجيم حريته، ولكنها ضمانة للحفاظ على نقطة التوازن الفاصلة بين إطلاق حرية الأفراد وحرية المجتمع في تحقيق أهدافه الجمعية التي ترتكز على تماسك المجتمع وتنميته وضمان استقراره وتطوره.

- مصداقية المؤسسة ومصداقية العاملين فيها؛ فإذا كان الإعلام يضع الضوابط والقيم التي تضمن سلامة المحتوى وصحة الرسالة التي تبثها أو تصدرها وسائل الإعلام، فإن الأمور تقف في العادة عند هذه المرحلة دون أن تتخطاها إلى ما بعدها في سلوك المؤسسة غير المعلن أو سلوك

الإعلاميين في حياتهم الخاصة.

فالإسلام يضفي على المؤسسة والعاملين فيها ضوابط ممتدة ومتعدية لما يقولونه أو يكتبونه ليجمع الإنسان بين المظهر والمخبر، وبين ما خطته يداه وما غاب عن أنظار الناس وعيون الجماهير التي تتلقى الرسالة الإعلامية.

فقد تلتزم المؤسسة والعاملون فيها بصياغة رسالة مفعمة بالقيم ملتزمة بالمبادي الإعلامية العامة، ولكنك قد تجد تناقضاً بين تلك المبادئ المسطورة والمنطوقة ومفردات وسلوك هؤلاء العاملين بعد فراغهم من أعمالهم.

- الدافعية والتحفيز؛ فالموارد البشرية العاملة في مجال الإعلام لديها تحفيزات متعددة، إلا أن الإعلام الإسلامي يضفي على العاملين فيه مزيداً من الشعور بالرسالة والهدف مما يحفزه لمزيد من التجويد والبذل والعطاء والتفاعل وليس مجرد أداء وظيفة أو مهمة تنتهي بمجرد الفراغ من ساعات العمل.

- الانضباط القيمي في إعداد المحتوى؛ فالإعلام قد يوفر للعاملين في مؤسساته ضمانة الالتزام بالقيم والمبادئ في المحتوى المنشور أو المذاع والذي تطلع عليه الجماهير، بينما لا يكون حاضراً بدرجة فاعلة ومؤثرة وصارمة في مرحلة إعداد المحتوى.

فقد يتحلى الإعلامي بالأمانة والمصداقية والدقة والشفافية والتوازن في عرض المادة، إلا أنه ربما يكون قد حصل على هذه المادة بطريقة غير مشروعة، وهو ما تتحرز منه المؤسسات الإعلامية التي تنضبط بالقيم الإسلامية، إذ لا تفصل في الانحياز للقيم بين مرحلة إعداد المحتوى ومرحلة نشره، والوسائل المتبعة للحصول على المادة، وطريقة عرضها لهذه المادة.

- التوازن النفسي للعاملين في مجال الإعلام؛ فقد تلتزم المؤسسة الإعلامية وكذلك منتسبوها بأداء الرسالة الإعلامية بانضباط قيمي وأخلاقي، على حين لا يتحلى العاملون فيها بتوازن نفسي يحول بينهم وبين كثير من الآثار النفسية السلبية مثل تضخم الذات والاستعلاء الذي قد يصل مع الوقت إلى استعلاء على الجماهير.

- وفي ختام هذا الجزء من الحديث عن مصطلح الإعلام الإسلامي توضيحاً وتحريراً، لا يفوتنا التأكيد على أن المؤسسة الإعلامية والعاملين فيها ينطبق عليهم مفهوم الإعلام الإسلامي -الذي ذكرنا- بقدر ما يحملون من القيم التي أسلفنا عنها الحديث، فالمؤسسة وأفرادها يقتربون من الإعلام الإسلامي بقدر قربهم من تلك القيم والمفاهيم ويبتعدون عنها بقدر ابتعادهم عن تلك القيم، ولا مجال هنا للعناوين الثابتة والمطلقة على المؤسسات الإعلامية أو العاملين فيها التي تمنح بعضها لقب الإسلامي وتحرم أخرى منه، بل إن المحك في مدى الالتزام بهذه القيم قرباً أو بُعداً.

من غير الإنصاف أن نتجاهل القيم المضافة التي يرفد بها الإسلام الإعلام كما في غيره من مجالات الحياة

إشكالات الواقع

وإذا كان الحديث عن المصطلح يحمل عدداً من الإشكالات والالتباسات التي تستوجب التوقف عندها وتحريرها، فإن إشكالات الواقع لا تقل أهمية عما احتاجه المصطلح من بيان، إذ لنا مع هذا الواقع وتفاعلاته عدد من الوقفات؛ منها:

١- إشكالات التمويل:

ومن ذلك استقلالية التمويل؛ إذ تكون المؤسسات الإعلامية الإسلامية بين خيارين؛ الأول: يتمثل في الحصول على التمويل من مصادر مالية مليئة مثل الدول والهيئات الكبرى والقوى العالمية، وهو خيار يضمن الاستقرار المالي والفني والتقني للمؤسسة، ولكنه يجعل المحتوى مرهوناً بأجندات وتوجهات الممول؛ مما يحرفه قليلاً أو كثيراً عن الأهداف التي يمكن أن يرسمها القائمون على الوسيلة الإعلامية؛ الأمر الذي يؤثر بصورة كبيرة على استقلالية المؤسسة.

الخيار الثاني: الاستقلالية والاعتماد على التمويل الذاتي من جيوب المؤمنين بالفكرة والمقتنعين بالرسالة، وهو خيار وإن نجح في تحقيق الاستقلالية بجدارة، إلا أنه يضع المحتوى والمؤسسة بكاملها في حرج مهني بالغ حيث تعجز عن الوفاء بالالتزامات المالية للتطوير ومواكبة التنافسية في عالم لا يرحم الضعفاء والصغار.

٢- إشكالات التوسع الأفقي والرأسي:

وتبرز هذه الإشكالية مع أول خطوة في اتجاه التطوير والتوسع الأفقي للمحتوى داخل المؤسسة أو الانتشار خارجها أو الرغبة في تعدد المنافذ الإعلامية، فتصطدم بضرورة التوسع في الموارد البشرية وتقف أمام خيارين:

الأول: الاكتفاء بالموارد البشرية المتاحة التي تتوافر لها القناعة الكاملة بالفكرة والرؤية العامة للمؤسسة وتمتلك من المقومات الأخلاقية التي تؤهلها للتعبير عن إسلامية المؤسسة بطريقة جادة، إلا أن هذا الخيار يجعل المؤسسة رهينة العجز عن الوفاء باحتياجات الجمهور في التطوير والمنافسة بسبب قلة الموارد البشرية المطلوبة لإنجاح العمل.

ويظل الخيار الثاني هو التوسع الأفقي في الموارد البشرية من أطر مهنية لا تلتزم بفكرة المؤسسة أو رؤيتها مما يحدث ارتباكاً في المحتوى وخللاً في مفردات الخطاب إلا أن تتداركه إدارة حاسمة، ومع هذا تظل في كل الأحوال المشكلة تراوح مكانها.

٣- إشكالات الرؤية النظرية وأثرها على الواقع:

ولعل ما طرحنا من إشكالات في الرؤية النظرية حول مفهوم الإعلام الإسلامي تضفي بظلالها -في كثير من الحالات- على الواقع العملي حال عدم حسم ما طرحنا حينها من إشكالات.

إذ تظهر تداعيات التردد حول الرؤية وطبيعة المؤسسة وأهدافها وعدم حسم الخيارات والبدائل محل أزمة تظهر تداعياتها على اضطراب المحتوى وتشتته وتعدد طبقاته وعدم انسجامه في منظومة موحدة.

٤- تحديد طبيعة الجمهور المستهدف:

تعاني المؤسسات الإعلامية الإسلامية من خلل ينطلق في غالبه من المفهوم والرؤية حول طبيعة الجمهور، وهل هو ذلك الجمهور الذي يؤمن بالفكرة الإسلامية، أم هو عموم الجمهور في الأمة بمختلف تنوعاته.

وإن كانت الأخرى فهل تمتلك المؤسسة من القدرات والإمكانات ما يؤهلها لمنافسة غيرها في عقر داره وفي تقديم المحتوى المناسب للجمهور المنوع.

٥- وقفة مع «تكويد» الرسائل وصياغة المحتوى:

تظل مشكلة الرغبة في الوصول إلى الجمهور المنوع مقرونة بمدى قدرة المؤسسة على المواءمة في صياغة رسالة متوازنة تجمع بين الالتزام بقيمها ومبادئها، وتلبية احتياجات الجمهور ومتطلباته التي تلبيها بالفعل أغلب -إن لم يكن كافة- المؤسسات الإعلامية الموجودة في سوق الإعلام.

وقد تصنع هذه الإشكالية خطاباً مزدوجاً داخل المؤسسة تظهر غالباً في تناقضات على صفحاتها وعبر شاشاتها، فلا هي بالتي حافظت على جمهورها الذي التزم بالفكرة، ولا هي وصلت إلى عموم الجمهور، فباتت كمن راوح مكانه عند منتصف الطريق فلم يبلغ ولم يتوقف.

٦- وقفة مع التصنيف والانطباعات المسبقة:

وهي إشكالية تكون في غالبها قريبة الصلة بالتعامل مع المصطلح حيث يقف الانطباع المسبق عن الصحيفة أو القناة أو الموقع وتصنيفه في الدائرة الإسلامية عقبة أمام تلقي المحتوى وتوقعات الجمهور منه؛ مما قد يساهم في انصراف قطاع كبير من الجمهور بسبب تلك الانطباعات والتصنيفات المسبقة.

٧- وقفة مع إشكالات التخصص:

وهي إشكال ارتبط بنشأة كثير من المؤسسات الصحفية والإعلامية الإسلامية، حيث نشأت بعيداً عن المتخصصين في المجال المهني الاحترافي، ربما كان في البداية بسبب قلة أو ندرة المحترفين للعمل الإعلامي من بين المنضبطين بالرؤية الإسلامية، إلا أن المشكلة ظلت مستمرة إلى مدى أوسع حيث غلب في كثير من الحالات وعلى كثير من التجارب الاستعانة بغير المختص في ممارسة العمل المهني.

ولعل سبباً رئيساً لهذه الإشكالية نجده في مساحات الخلط بين الإعلام الدعوي والإعلام الإسلامي، بالإضافة إلى اعتبارات الثقة في توجهات العاملين التي تغلب في عدد من المؤسسات وربما تفوق الاحترافية.

وفي الختام، فإن ما طرحناه في هذه العجالة نرى أنه في الغالب انعكاس لواقع نظري وتطبيقي للتعامل مع مصطلح الإعلام الإسلامي وما يستتبعه من واقع على الأرض يضطرب حيناً ويسعى للكمال أحياناً، ولكنه يتعرض في كل أحواله إلى مزيد من الإشكالات تستحق مزيداً من الوقفات.■

الإسلام يعمق مفهوم المسؤولية لدى المؤسسات الإعلامية بحيث تحمل أهدافاً تقع في دائرة احتياجات المجتمع

الإسلام يضفي على المؤسسة والعاملين فيها ضوابط لما يقولونه ليجمع الإنسان بين المظهر والمخبر

الإعلام الدعوي.. الوسائل والمتطلبات

يحتل الإعلام في الإسلام مكانة رفيعة عالية؛ إذ عليه تقوم دعائم البلاغ المبين، وبه تقطع الدعوة الآفاق، وتجوب البلاد والقارات، وهو من الدعائم التي لا تقوم أي دعوة نبوية كانت أو إصلاحية بغير توظيف المتاح منه.

د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة المدينة الماليزية

خطبة الجمعة تتجدد فيها ركائز الدعوة إعلاماً على ملأ المصلين والموعظة إعلام فردي وجماعي للمهتدين

الرسول اختار أفضل الوسائل الدعوية ليُعْلم من خلالها أكبر عدد من الناس في أقل مساحة زمنية ممكنة

الشعر ونظم القوافي والخطابة كانت وسائل دعوية مناسبة للنيل من الخصم

بعض المسلمين حرّم وسائل الإعلام مطلقاً وأصبح عدم استعمال التلفاز سبباً للمدح!

تنوعت في الإسلام وسائل الإعلام؛ فبعضها ثابت لا يختلف القيام به باختلاف الزمان أو المكان، وبعضها يخضع لمحددات الزمن، واهتمامات أفراده، ومما يلفت النظر ونحن نسعى لالتماس الوسائل الدعوية التي جاء بها الإسلام على سبيل التشريع، فإننا نجد الوحي والأذان يترادفان لغة مع الإعلام[1]، وألفاظ الأذان تنبيه مصحوب برسالة تتكرر خمس مرات علانية للملأ إعلاماً بدخول الصلاة، وخمساً ثانية لمن لبى النداء داخل المسجد، وقد استحبّه الفقهاء لكل مولود يستهل على الأرض صارخاً؛ اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم [2]، فلا ينبغي أن تترك لحظة لقاء المولود الأول بالأرض دون إعلام حق.

وقد شرع الإسلام الجمعة وخطبتها لتتجدد فيها ركائز الدعوة إعلاماً على ملأ المصلين، وكان التكليف الشرعي بالموعظة التي هي إعلام فردي وجماعي سبيلاً للمهتدين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٥)، وهناك العديد من الوسائل الأخرى.

وحين نتأمل كيف تعاطت دولة النبوة مع الوسائل الدعوية المتاحة للدعوة، نجد أنها وظّفت في بواكير نشأتها الأولى كل الوسائل الإعلامية الدعوية الممكنة، فكان البلاغ الفردي، وغشيان الأسواق، ومقابلة الوافدين، وقرض الشعر، والخطابة، والإبلاغ بصوت يملأ الأفق أحياناً سبيلاً سلكته الدعوة وهي تضع الأساس الراسخ لآخر الرسالات السماوية.

نجد كمثال لهذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين كُلّف بالبلاغ العام والإعلان بالدعوة، والانتقال بها من مرحلة التخفّي إلى مرحلة الإعلام العام للجميع، انتخب أفضل الوسائل الدعوية آنذاك ليُعْلم من خلالها أكبر عدد من الناس في أقل مساحة زمنية ممكنة، ويصل بصوته لمسامعهم، فصعد على الصفا وصرخ في أهل مكة ممن اجتمع له بكلمة الله تعالى للعالمين[3]، فقد غدا بعد التكليف بالإنذار غشيان المجالس والبيوت جهداً لا يتسع له الزمن، ولا بد من تجاوزه إلى ما هو أعمّ.

وانظر إلى هذا النموذج الإعلامي الذي انبلج في أشد اللحظات وأحلك الظروف، والدماء تنزف من الشهداء والجرحى في يوم «أُحد»، والرسول قد نهى أصحابه عن الرد على وقاحات المنتصرين، الذين لا قضية لهم سوى الصدّ عن سبيل الله تعالى؛ فقد برز أبو سفيان في يوم «أُحد» يقول: اعلُ هبل، اعلُ هبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا تجيبونه؟»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجلّ»، قال: إنّ لنا العزى ولا عزّى لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا تجيبونه»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»[4]، فخسارة القضية هي الخسارة الحقيقية، ومهما كان الثمن المدفوع والدماء النازفة، فلا بد من أن تظل القضية دائماً مرفوعة.

وربما استعملت الدعوة الشعر ونظم القوافي كوسيلة مناسبة في ذاك الوقت للنيل من الخصم وإرباكه، والفتّ في نفسه، وإدخال الضيق عليه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوافي ابن رواحة رضي الله عنه: «لهي أسرع فيهم من نضح النبل)[5].

أزمة كل جديد

حين تقدمت الوسائل الإعلامية، وارتادت الآفاق، وحطمت جغرافيا الحدود، وأضحت تصنع واقعاً جديداً، وتنوعت الوسائل التي من خلالها تصل الفكرة، أو يتم التأسيس لمفاهيم جديدة؛ انقسم المسلمون على عادتهم في أزمنة الهوان شيعاً، بعضهم قاطعها درءاً للمفاسد؛ ظناً منه أنه يغلق باب الشر، وبعضهم حرّمها بالكلّية، وأصبح مما يذكره المادحون في مآثر

فقيد: إنه لم يستعمل التلفاز أو المذياع طول حياته!

لقد انعكس ترهل حَمَلة الإسلام، وتحول الأمة من طور الريادة إلى حالة الغثاء على موقفهم من الإعلام، وحين وجدت أنه لا سبيل أمامها، وغدت الوسائل الحديثة تفرض نفسها، حدثت أزمة لا تقل عن أزمة المقاطعة، فتقدم للإعلام الإسلامي غير المتخصصين، وفي ظل هذا يقول د. عمر عبيد: «بعض وسائل وأساليب الإعلام الإسلامي المعاصر تؤثر سلباً على مسار الدعوة الإسلامية ومواقف الناس منها، وذلك عندما يكون الطرح سيئاً، أو جاهلاً، أو غبياً، أو ساذجاً، فيُسيء إلى الإسلام وعظمته، ويزهّد الناس فيه، ويُخوفهم منه..»[٦].

حين نتأمل الصفات التي يجب أن يتصف بها الرُّسل نجد أنها أربع صفات يجب أن تلازمهم ولا تنفكّ عنهم أبداً هي: «الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة»[٧]، فهذه الصفات الأربع هي ركيزة أي إعلام هادف، يحمل رسالة، أو يعيش أصحابه لقضية، يريدون من خلالها صناعة الخير وقيادة الجماهير، فإذا تخلفت واحدة من الأربعة ضاع الجهد أو طال الأمد، وربما صار تحقيق الأهداف محالاً.

إذا يممت وجهك يمنة أو يسرة فاحصاً في مادة وأهداف الإعلام الحالي للمسلمين، وقلّبت النظر عاد لك حسيراً، فالخطاب الإعلامي -الدعوي خاصة- غدا خطاباً مستهلَكاً لا يقدم جديداً، ولا يحاول نفض الغبار الذي تراكم وزكم الأنوف، فضلاً عن كونه يعيش كما عاش الذين كان همهم التحشية على شروح المتون.

إن الجماهير اليوم تتلقف الإعلام كالطفل الرضيع الذي تتشكل عظامه، وهذا ما وعته الدول التي أصبحت تجد في صناعة الإعلام كلفة أقل في انتهاب من شاءت من الأمم، وتصدير ما شاءت من الأفكار والثقافات، والتمكين لما تريد من القضايا، وتحويل الزيف من خلال الإعلام إلى يقين لا يقبل الشك.

في ظل هذا غدا محالاً إمكانية انتشال الأمة من القاع الذي تردت فيه من خلال موضوعات يتولى صياغتَها وإعدادَها متخصصون فقط في بعض علوم الشريعة، يقدمونها في قوالب جافة، وأقاصيص عفّى عليها الزمن، وقياسات تجاوزتها علوم العصر، ثم غدا أكثرهم يتركون الجماهير نهباً لمن يفرغ فيهم بضاعة الزيف والضلال، فضلاً عن الخوض في الزائف من القضايا وتناول الجاف من الموضوعات، بحجة أنّه يسعنا أن نتكلم فيما تكلم فيه السلف، ونتناول من القضايا ما تناولوه، غاضين الطرف عن أن لكل زمن قضاياه التي تخصّه.

الدور المنشود

إن رسالة الإعلام كي تؤدي مهمتها الدعوية، لا بد لها من التعاطي مع كل مخرجات الإعلام العصرية سواء كانت هذه المخرجات أخباراً أو أفكاراً، أو أعمالاً فنية، وفق رؤية واضحة يضعها المتخصصون، ولن تتحول الأمة من حالة الاستهلاك الإعلامي إلى حالة العطاء والفاعلية إلا إذا حدّد المتخصصون أهدافاً إنسانية سامية، يدورن خلفها، ثم تلقف القائمون على رسالتها الدعوية، المنظمون لسير قضاياها، المتخصصون في كل مجال لوضع رؤية للنجاح، فليس سمو الغاية وحده مبرراً أو كافياً في الوصول للأهداف، وهو الوهم الكامن في نفس من يأنف تحديث الخطاب، وتجديده وفق ضوابط الشريعة ليوافق حركة العصر الموّارة.

يتطلب تحديث الخطاب الإعلامي المعني بأمر الدعوة إسهاماً فاعلاً بجانب علماء الدين وعلماء النفس والاجتماع في اختيار الموضوعات والأفكار، واتخاذ الوسائل لإنضاجها، ووضع مقومات نجاحها، واختيار الأنسب لمن يقدمها؛ بدءاً من هندامه وانفعالاته، وصولاً إلى سكناته ووقفاته، هكذا تصنع الدول التي تريد اقتياد الجماهير أو تحويل مسارات تفكيرهم واهتماماتهم.

ثم لا بد من تفعيل ما نملك بحكم الشريعة من وسائل إعلامية مهمة سبقت الإشارة لبعضها، ولا يجوز لنا أن نتركها تتحول لرتابة تجعل المستمع لها يفرّ منها ويأنف السماع لأصحابها، ونتحول بها من حالة الجمود والضمور إلى الفاعلية والحركة، هذا إن أردنا أن نضع أساساً لمستقبل أجيال قادمة مهمتها ربما تكون ثقيلة.■

الهوامش

(١) تهذيب اللغة (٥/ ١٩٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٠٠).
(٢) أخرجه أبو داود (٥١٠٥)، وحسنه الألباني.
(٣) متفق عليه.
(٤) البخاري، برقم (٢٨٧٤).
(٥) الترمذي، وصححه الألباني.
(٦) http://library.islamweb.net/newlibrary/display..
(٧) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية: ٢/ ٨١٠

قياس الرأي العام باستخدامها..

وسائل التواصل الاجتماعي في خدمة الدعوة الإسلامية

انتشرت شبكات التواصل الاجتماعي خلال السنوات الماضية حتى أصبح من الاستحالة أن تجد أحداً من عامة الناس لا يمتلك حساباً شخصياً على إحدى هذه الشبكات، وغدت أداة مميزة للتأثير واقتحام العقول في لمسة مفاتيح الهواتف المحمولة وأجهزة الكمبيوتر، حتى لم يعد من المستغرب أن ينشر رئيس دولة إعلاناً مدفوع الأجر (Prompted) يتحدث فيه عن نشاطاته وإنجازاته، ومن هنا صار استخدامها من قبل المهتمين بقياس الرأي العام أكثر إلحاحاً وتحدياً.

د. سامر أبو رمان

عند مقارنة أدوات قياس الرأي التقليدية مثل استطلاعات الرأي مع أدوات البيانات الكبرى (big data)، التي منها تحليل مضمون شبكات التواصل الاجتماعي؛ سنجد أن لكل واحدة منها إيجابيات وسلبيات ومواطن ضعف وقوة، ولكن طريقة البيانات الكبرى هي الأكثر إغراء وتطوراً والأقل كلفة والأسرع إنجازاً، وأصبحت أكثر شمولاً بربط معلومات ضخمة وتحليلها واستخراج نتائجها بطريقة برمجية مذهلة.

ومع ذلك، فإن الجهات الكبرى من حكومية وخاصة وجماعات ضغط وتأثير لا تستغني عن استخدام كل هذه الأدوات؛ فترعى المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) وتهتم بنتائج استطلاعات رأي في أماكن متفرقة من العالم، وفي الوقت نفسه وبذات المواضيع تدرسها من خلال مركزها الخاص برصد الشبكات الاجتماعية للتعرف على الآراء وردود الأفعال بشكل سريع؛ كحدث مثل خطاب الرئيس الأمريكي السابق «باراك أوباما» للعالم الإسلامي من جامعة القاهرة.

وهكذا تتنوع غايات قياس الرأي العام باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي بين الإسهام المعرفي والعلمي، والتأثير والضغط وتحقيق المصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها؛ مما يحتم على مختلف الجهات الاهتمام بهذه الأدوات لتحقيق غاياتها، ومنها جماعات الدعوة والعمل الإسلامي لاستخدامها بطريقة احترافية لتحقيق غاياتهم النبيلة، وهو ما نقدمه بهذه الخطوات والنموذج المقترح.

القناعة بهذه الأداة:

ينبغي على الجهات الدعوية القناعة بأن شبكات التواصل أصبحت وعاء لتوجهات الناس، ومعبراً عن أفكارهم التي يقدمونها على طبق من ذهب عبر هذه المنصات بأكبر قدر من الحرية؛ مما يجعلها مكاناً خصباً للتعرف على الأفكار والآراء المتجددة المتعلقة بعمل الجهات الدعوية والفئات المعنية بها كمستفيدين ومقدمي خدمة وغيرهم.

أداة القياس:

ثمة العديد من الجهات التي قدمت برمجيات عديدة، ومتنوعة لقياس الرأي العام عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ولكل واحدة ميزات ينبغي

> طريقة البيانات الكبرى في استطلاعات الرأي أكثر تطوراً وأقل كلفة وأسرع إنجازاً من الأدوات التقليدية

للجهات الدعوية مراعاتها، فبضعها يولي اهتماماً أكثر ودقة في شبكة «تويتر» كأغلب الجهات، حيث تعد بشكل عام أسهلها في رصد الرأي العام من «فيسبوك» على سبيل المثال، ومن أشهر وأكبر هذه الجهات «MAXQDA» الألمانية؛ حيث تتيح برمجياتها توظيف البيانات الكبرى الكمية والكيفية واستخدام المنهجيات المتعددة Mixed Methods Research، فضلاً عن سهولة استخدام اللغة العربية، وكما تعقد «MAXQDA» مؤتمرات وجلسات تدريب وورش عمل متخصصة.

وفي العالم العربي، فقد اطلعت مؤخراً على برنامج «منجم الرأي العام»، الذي يعتبر -كما يذكر مبتكروه- أول نظام ذكي في تحليل توجهات الرأي العام في شبكات التواصل الاجتماعي، كما يمكن الاطلاع على شركات أخرى عديدة منها: «Lexis Nexis»، «CARMA»، «Meltwater».

التنسيق بين الجماعات الدعوية للقياس:

نظراً لما تقتضيه استخدام هذه الأداة من متطلبات مالية وبشرية متخصصة، فيمكن للجهات الدعوية التنسيق فيما بينها لإطلاق مشاريع مشتركة فيما يخدم أهدافها جميعاً، فمثلاً يتم اختيار مواضيع ذات هدف مشترك مثل مواجهة الإلحاد؛ حيث يمكن رصد الأفكار المنتشرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي والحجج التي يطرحها الملحدون، ودراستها تمهيداً لوضع خطط المواجهة بالوسائل المتاحة والخطاب المناسب حسب الفئات والدول وغيرها من المعطيات.

التنبه للأخطاء والانحيازات والتحديات:

عندما غدت هذه الشبكات مكاناً لتوجيه الرأي العام، حرصت الحكومات والسلطات وشركات القطاع الخاص، والإعلام، وجماعات الضغط وغيرها على استخدامها بطريقة مضللة للرأي العام، ففي حين أن إطلاق الوسم (الهاشتاج) في «تويتر» ثم تبعه «فيسبوك» ميزة يمكن التعرف على أكثر ما يتحدث عنه الرأي العام في العالم وكل منطقة، بالإضافة إلى أنها تسهل عملية تصنيف الأفكار في مكان واحد إلى حد ما، لتصبح هذه الوسوم مادة جيدة للصحافة لنقل وجهات النظر حيال قضايا متنوعة، مقابل ذلك أصبحت تستخدم بطريقة سلبية في تأسيس الوسم، ثم توظيف بعض الأفراد المؤثرين لإطلاقه استثماراً للأعداد الكبيرة من المتابعين، كما أن بعض الجهات لا سيما الحكومية توظف أعداداً كبيرة من المغردين أو ما يطلق عليهم «الجيش الإلكتروني» لتوجيه ما يُنشر على شبكات التواصل والرد على الخصوم.

وفي المقابل، استخدمت بعض الجهات الدعوية والدعاة هذه «الهاشتاجات» بطريقة جيدة من خلال إطلاق وسوم تخدم مصلحتها مثل وسم «حصار العمل الخيري» الذي أطلقه الشيخ محمد العريفي، أو وسم حول مئوية «وعد بلفور» المشؤوم مؤخراً.

تتبعٌ فوري لمحادثات الرأي العام:

كما يمكن للجماعات الدعوية متابعة ما يطرح من مواضيع متعلقة بالمجال الدعوي أولاً بأول من خلال استخدام بعض البرمجيات المتوافرة والمجانية كما في «توتير»؛ مثل «تويت فال» (Twitterfall)، «تويت ديك» (Tweet Deck)، بحيث يمكن وضع الكلمات التي تريد أن تصلك مباشرة في حال ورودها في «توتير»، كما من السهل أن يتم وضع اسم الجهة الدعوية أو مشاريعها وغيرها من الكلمات ليتم رصدها فور نشرها على شبكات التواصل والتدخل في الوقت المناسب حسب المنشور وأهميته.

جمع البيانات:

كما انتشر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لجمع البيانات، من خلال إرسال روابط استطلاعات الرأي الإلكترونية التي تقدمها جهات عديدة وباشتراكات مجانية ومدفوعة، ومن أبرزها: Google Survey، Survey Monkey، Fluid Survey، Easy Poll، وأصبحت هذه الوسائل تنمو بشكل كبير، ويمكن للجهات الدعوية استخدامها بشكل فاعل في حال احتمالية تجاوز بعض التحديات والإشكاليات العلمية؛ مثل: ضبط العينة، ونوعها، وتحقيق صفة التمثيل للمجتمع، وضمان عدم تكرار التصويت وتوجيهه عبر ما يمكن أن نطلق عليه «تجييش الرأي العام» وغيرها.

هذه مقترحات متنوعة للجهات الدعوية لاستخدام أمثل لشبكات التواصل الاجتماعي لقياس الرأي العام والتأثير فيه، مع ضرورة مراعاة الاطلاع على كافة الأبعاد المنهجية والعلمية والاحترافية، ويمكن للمعنيين بهذه الأداة الاطلاع على التقرير التفصيلي حول الإعلام الاجتماعي وبحوث الرأي العام «Social Media in Public Opinion Research: Report of the AAPOR Task Force on Emerging Technologies in Public Opinion Research» الذي أصدرته جمعية بحوث الرأي العام الأمريكية (AAPOR). ■

إضاءات حول دور الإعلام في الدعوة الإسلامية

استغلال وسائل الإعلام الحديثة في الدعوة

إن أشرف ما يُمكن أن يشتغل به المرء في عمره الطويل هو خدمة هذا الدين والاهتمام بأمر دعوة الإسلام ونشرها وتبليغها، والابتكار في وسائلها وطرقها محتسباً ذلك العمل الجليل عند الله عز وجل، وليس بغائب عن أحدنا الدور الفاعل، الذي يمكن أن يقوم به الإعلام في هذا المجال، فما زال هو الذراع الطويلة والمؤثر الأول في حياة البشر.

ولعل من أهم سُبل نشر الدعوة الإسلامية الخالدة، والدفاع عنها في هذا العصر، استخدام أسلحة الاتصال العصرية والمستحدثات التكنولوجية والإعلامية، وعلى رأسها تقنية الإنترنت، وذلك للإمكانات الهائلة لهذه الوسيلة في الاتصال، فعن طريقها تستطيع أخي الداعية الذود عن الإسلام ضد الاتجاهات الرخيصة والسوداء التي تتسم بالقوة والفاعلية أحياناً والتنظيم والتأثير أحياناً أخرى.■

منتديات شبكة السُنة النبوية وعلومها

دور الإعلام في خدمة الدعوة

إن الإعلام الحديث يُعتبر من أهم الوسائل التي تساعد في نشر الدعوة للدين الإسلامي وتحسين الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام والمسلمين في العالم، وخاصة عند الديانات غير الإسلامية، التي ترى أن الإسلام -ديناً وديانة- لا يُعطي متسعاً للأشخاص في المعاملة، بل يعمل على تضييق الحياة عليهم، وذلك بعكس سماحة الإسلام ويُسره في كل شيء، وكذلك التفريط والخلل الواضح في نشر الدعوة الإسلامية في العالم، بجانب وسائل الإعلام

الغربية التي تعمل ليلاً ونهاراً على إيصال الصورة السيئة عن الإسلام.■

أحمد زارع أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة - الألوكة

أين نحن من الاستفادة بالإنترنت في نشر الإسلام؟

لا شك أن المسلمين حتى الآن لم ينجحوا في استغلال شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) دعوياً بالشكل المطلوب، فالإحصاءات تقول: إن المواقع التنصيرية في الشبكة تزيد على المواقع الإسلامية بمعدل ١٢٠٠٪، ونصيب المسلمين من الإنترنت حتى الآن مازال هزيلاً، ولا يرقى إلى المستوى المطلوب، وقد أشارت دراسة حديثة إلى أن المنظمات التنصيرية هي صاحبة اليد الطولى في المواقع الدينية على شبكة الإنترنت، حيث تحتل نسبة ٦٢٪ من المواقع، ويليها في الترتيب المنظمات اليهودية، بينما تساوى المسلمون مع الهندوس، حيث لم تزد حصة كل منهم على ٩٪ فقط.

ويقدر الخبراء عدد المواقع

الإسلامية والعربية على الإنترنت بـ٦٥٠ موقعاً، وبدأ ظهور هذه المواقع منذ عام ١٩٩٣م، وكانت المواقع الإسلامية الأولى باللغة الإنجليزية ثم بدأ ظهور مواقع بلغات مختلفة، ولكن معظمها كان محدود التأثير، ويحتوي على معلومات سطحية.■

عبدالرحيم الشريف، دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن - الملتقى الإسلامي

وسائل التكنولوجيا الحديثة في خدمة الدعوة

الداعي إلى الله تعالى لا ينبغي له بحال من الأحوال أن ينفصل عن هذا التقدم الحادث في وسائل الدعوة، فعليه أن يستفيد من هذه التقنيات الحديثة؛ لأن التقوقع داخل مسجد أو نادٍ أو مركز شباب فحسب دون الاستفادة من الوسائل الأخرى ينفق كثيراً من الوقت والجهد الذي يمكن توفيره.

وتنبع أهمية هذه الوسائل التكنولوجية الحديثة من الأسباب الآتية:

١- اهتمام غير المسلمين بوسائل الاتصال الحديثة؛ لدفع الناس إلى تحقيق مكاسب مادية بحتة، بينما كان الأَوْلَى ببني الإسلام أن يأخذوا بهذه الوسائل الحديثة.

٢- لأن الوسائل التكنولوجية اليوم تتميز بانعدام المحدودية؛ فليس لها حدود زمانية ولا مكانية ولا نوعية أو جنسية؛ ولذا فهي تتخطى كل الحواجز، أضف إلى ذلك سهولة استخدامها وصيرورتها شيئاً عادياً، ليس من الصعب التواصل بها والتعامل معها.

٣- لتوجُّه أنظار الناس جميعاً إلى هذه الوسائل واهتمامهم وتعلقهم بها.

٤- اختلاف أنواعها وأشكالها (فمنها الصوتي، ومنها البصري، ومنها الفيديو، ومنها الرسائل...)، وهو ما يدعم أهميتها.

٥- أنها تصل إلى الملايين في كافة أنحاء العالم، وهو ما يمكّن الداعية من الوصول إلى الناس بسهولة وبدون تضييقات معيّنة.■

طريق الإسلام

العلاقة بين الإعلام والدعوة

إن المجتمع الإسلامي بطبيعته مجتمع الدعوة المتجددة والدائمة إلى سبيل الله ودينه، ولم يخلُ مجتمع إسلامي على مر العصور من الفقهاء والعلماء والدعاة ووسائل التعليم والإعلام بعلوم الإسلام وخلقه وآدابه، وقد كانت الدعوة بدعاتها ووسائلها ركيزة التربية الإسلامية للأجيال المتعاقبة من النشء في كل مجتمع إسلامي حتى عهد قريب.

كذلك فإن الدعوة لم تنفصل عن الإعلام في أي من المجتمعات الإسلامية على مر العصور، بل إن الدعوة كانت مصدر الإعلام وركيزته على الدوام، وأصدق الشواهد على ذلك أن المساجد في كل مجتمع إسلامي كانت تمثل مراكز العلم والإعلام والتعليم والتوعية والإرشاد، وقد ظل المسجد يؤدي هذه الرسالة الجليلة على مر القرون وحتى بعد ظهور وسائل الإعلام المتطورة في العصر الحديث، فإن دور المسجد مازال قائماً في كل مجتمع إسلامي منارة للدعوة والعلم والإرشاد.

وحين نعرض للحديث عن موقع الدعوة من الإعلام المعاصر وكيف يجب أن تكون علاقة الإعلام بالدعوة، نبدأ بالقول: إن طبيعة المجتمع الإسلامي تحتم قيام «إعلام إسلامي» على أسس صحيحة ومقومات صريحة؛ بمعنى أن وجود إعلام غير إسلامي في المجتمع الإسلامي يمثل تناقضاً كبيراً تنعكس آثاره السيئة على المجتمع، وخاصة في المجال التربوي والخلقي، ومن ثم على البناء الاجتماعي وهو الأمر الذي أثبتته التجارب في بعض المجتمعات المسلمة التي نقلت عن الإعلام الغربي وفتحت له أبوابها خلال هذا القرن.■

إسلام ويب

رئيس جمعية «المركز الثقافي القلم» في مقدونيا لـ«المجتمع»:

العقبات القانونية والمادية تحد من تطور التعليم الإسلامي في مقدونيا

«العقبات القانونية والمادية تحد من تطور التعليم الإسلامي في مقدونيا».. بهذه الكلمات أكد الشيخ صباح الدين محمودي، رئيس جمعية «المركز الثقافي القلم» في مقدونيا، أهم العقبات أمام التعليم الإسلامي في مقدونيا، ولفت الشيخ محمودي، الذي كان أول مدير للمدرسة الإسلامية المتوسطة «عيسى بك» في سكوبيا، التابعة للمشيخة الإسلامية في مقدونيا، إلى أن القانون في مقدونيا لا يسمح بفتح مدارس أهلية للمرحلتين الابتدائية والإعدادية، وهي الفترة الأهم والأبرز لتعليم الأطفال مبادئ دينهم، حيث لا يتم تدريس الدين في المدارس إلا كمادة ثقافية وخلال عام دراسي واحد فقط.

التعليم الإسلامي على مستويين المرحلة المتوسطة ثم العالية لمن يريد التخصص

للمشيخة الإسلامية كلية للعلوم الإسلامية في سكوبيا لإعداد معلمين وأئمة وخطباء

جمعيات وأفراد قاموا بتنظيم حلقات التعليم الديني بأماكن مختلفة ولكل منهم برنامجه الخاص

بخلاف بعض الأئمة التابعين للمشيخة الإسلامية في مقدونيا لا يتلقى غالبية الأئمة والمعلمون الآخرون أي دعم أو رواتب من أي جهة؛ سوى ما يتبرع به الأهالي لهم نظير تعليم أبنائهم مبادئ الدين.. جاء ذلك في الحوار الذي أجرته «المجتمع» مع رئيس جمعية «المركز الثقافي القلم» في مقدونيا.

● نود، في البداية، نبذة تعريفية عنكم.

– اسمي الشيخ صباح الدين محمودي، تخرجت في كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر، ثم درست سنتين في الفقه المقارن (دراسات عليا)، كما حصلت على دبلوم تربوي من كلية التربية والتعليم بجامعة عين الشمس.

أما في مجال التعليم الديني في مقدونيا، فبعد عودتي من العالم العربي اشتغلت في المشيخة الإسلامية في مقدونيا

مشرفاً على بناء وتأسيس المدرسة الإسلامية المتوسطة «عيسى بك» في سكوبيا، ثم كنت مديرها الأول لمدة أربع سنوات؛ أي حتى تخرج الدفعة الأولى في تلك المدرسة.

ثم كنت مبعوثاً لرابطة العالم الإسلامي في مدينة مالمو بالسويد، بعدها عدت إلى المدرسة الإسلامية في سكوبيا مدرساً، ومنها انتقلت للمعاش.

في عام ٢٠٠٢م أسست

جمعية ثقافية باسم «المركز الثقافي القلم»، ومجال نشاطها التربية والتعليم الإسلامي خاصة، والتعليم العام مثل اللغة الإنجليزية والحاسوب، ومنذ ١٥ عاماً وحتى اليوم نمارس هذا النشاط، والحمد لله أن وفقنا لخدمة هذا الدين.

● نرجو التعريف بجمعيتكم «المركز الثقافي القلم» وأنشطتها.

– «المركز الثقافي القلم»، جمعية أهلية غير حكومية، تعمل على نشر التعليم الإسلامي والعام، وتعمل على نشر التربية الإسلامية بين الجيل الناشئ والكبار.

ويقع المركز بقرية أرناكيا (arnakija)، من بلدية ساراي (saraj)، إحدى بلديات مدينة سكوبيا (skopje)، عاصمة جمهورية مقدونيا، ويعمل فيه سبعة معلمين، بالإضافة إلى سائق حافلة المركز التي تحضر الطلاب من القرى المجاورة.

بدأ المركز أنشطته التعليمية والتربوية مع نهاية النصف الأول من العام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣م، بست مجموعات من الطلاب؛ منهم أربع مجموعات طلاب أعمارهم ما بين ٧ و١٥ عاماً، ومجموعتان لكبار السن.

كان عدد الطلاب في البداية ٧٠ طالباً، وهم من أهل القرية التي فيها مقر المركز، وكانت الدراسة تقام في فصلين بسيطين غير مكتملين بالأدوات التعليمية المطلوبة، وبعد سنة أو سنتين بدأ الأهالي من القرى المجاورة تُحضر إلينا أبناءهم لتلقي العلوم الإسلامية، وهكذا تدريجياً بدأت الأعداد تزداد في كل سنة دراسية جديدة حتى تجاوز عدد طلاب المركز ٢٢٠ تلميذاً، وهم موزعون على ١٦ مجموعة دراسية.

وتقام حالياً الدراسة في ست فصول مجهزة بأدوات تعليمية، منها فصلان عبارة عن معملين، معمل لتعليم القرآن الكريم واللغة الإنجليزية، ومعمل للحاسوب، وكل منهما به ٢٠ مقعداً.

● نرجو إلقاء الضوء أكثر على «منابر التعليم الإسلامي»، سواء الرسمية التي تتبع وزارة التعليم، أو الخاصة التي تتم في المساجد أو المؤسسات الإسلامية.

– التعليم الإسلامي في مقدونيا يكون على مستويين؛ مستوى المرحلة المتوسطة (الثانوية)، ثم العالية (الكلية الإسلامية) وهذا لمن يريد أن يتخصص في العلوم الإسلامية.

بينما الابتدائية لعامة أولاد المسلمين فقط لأخذ المعرفة الأساسية عن الدين الإسلامي من القراءة في القرآن الكريم وحفظ ما استطاعوا حفظه منه، وما يتعلق بالصلاة والصوم والأخلاق.

ورسمياً أمام الجهات الداخلية والخارجية، توجد مدرسة متوسطة للبنين في مدينة سكوبيا العاصمة، ولها عدة فروع للبنات في سكوبيا، ومدن تيتوفو، وغوستوار، وشتيب، كما أن للمشيخة الإسلامية في مقدونيا كلية للعلوم الإسلامية في مدينة سكوبيا لإعداد معلمين وأئمة وخطباء لتغطية حاجات المسلمين الدينية في مقدونيا، ولا تتبع في شيء ما لوزارة التعليم الحكومية؛ بل في كثير من الأحيان لا يُعترف بشهاداتها أمام جهات رسمية.

أما تعليم الدين لعامة المسلمين، فالكبار من حين إلى آخر يستمعون إلى محاضرات دينية خاصة في شهر رمضان، وأما الصغار فنسبة قليلة منهم يفضلون التعليم الإسلامي في بعض المساجد على أيدي أئمة المساجد، ونسبة أخرى يتلقون التعليم الديني في المكاتب والبيوت، والجميع مادياً غير مدعوم من أحد؛ إلا ما يدفعه آباء التلاميذ؛ الأمر الذي يجعل التعليم الإسلامي والمعلمين في وضع غير محسود عليه.

وأما من جهة الحكومة؛ فوزارة التعليم خلافاً للجمهوريات الأخرى ليوغسلافيا السابقة لم تدخل مادة الدين في المدارس الحكومية؛ بل اكتفت بتعليم الدين –المسيحية واليهودية والإسلام– كثقافة في سنة واحدة فقط.

وعلى صعيد العمل المجتمعي، ففي العاصمة سكوبيا وبعض المدن الأخرى

يتواجد المسلمون الألبان بكثافة، توجد جمعيات وهيئات غير حكومية تعمل على توعية الشباب المسلم، مثل «اتحاد الشباب المسلم»، وله نشاط جيد وواسع مع الشباب ليس في التعليم الإسلامي بمفهوم الكلمة ولكن بطريقة أو أخرى تصب في هذا المجال، مثل تنظيم المحاضرات والمعسكرات والحضور في برامج التلفزيون.

وتوجد جمعيات متعددة مثل «اتحاد الطلاب المسلم»، الذي يعمل على توعية الطلاب المسلمين، وجمعية «أرذمريا المستقبل»، وهي تمارس التعليم الإسلامي، و«نادي إليتا»، وكلها في سكوبيا العاصمة، بينما جمعية «ولازنييا» فتوجد في مدينة كومانوفا ذات الغالبية المسلمة، وهي الأخرى تمارس التعليم الإسلامي.

وهناك كيانات مجتمعية أخرى بطريقة أو أخرى تصب في مجال التعليم الإسلامي مثل دار النشر «الفرقان»، التي تقوم بترجمة وطباعة بعض الكتب التي تستعمل في التعليم الإسلامي، وكذلك دار النشر «لوغوس»، و«ن»، وكل هذه الجمعيات أو الهيئات تمارس نشاطها بشكل رسمي، حيث إنها مسجلة لدى الجهات الحكومية.

كما أن هناك أفراداً يقومون بالعمل في مجال التعليم الإسلامي بشكل شخصي وليس لهم صفة قانونية.

● ماذا عن مناهج التعليم الإسلامي؟ وما تقييمكم لها؟

– فيما يخص البرامج الدراسية، فبالنسبة لتعليم الإسلام في المدرسة الثانوية الإسلامية «عيسى بك»، والتابعة للمشيخة الإسلامية في مقدونيا، وفروعها الأخرى، فلها برامج تعليمية متطورة، وكذلك كلية

وضع المعلمين لا يُحسدون عليه فمنهم بغير شهادة أصلاً ومنهم من تخرج في المتوسطة الإسلامية!

التعب والملل يهيمنان على الآباء لتحملهم أعباء التعليم الإسلامي وعلى المعلمين لعدم تشجيعهم مادياً

القانون لا يسمح بفتح مدارس خاصة للمرحلتين الابتدائية والإعدادية لأنه حق للدولة فقط

العلوم الإسلامية، وكما ذكرت سابقاً، فإن الهدف منها إعداد معلمين وأئمة وخطباء لتغطية حاجات المسلمين الدينية في مقدونيا، وهذا التعليم يقع على عاتق المشيخة.

أما تعليم الإسلام لعموم المسلمين، فالأمر ليس على شاكلة واحدة، فللمشيخة الإسلامية برنامج بسيط، والكثير منه لا ينفذ؛ بسبب عدم وجود خطة لتنفيذ ذلك، فالأمر متروك لأئمة المساجد والخطباء أن يقوموا بذلك قدر الاستطاعة وبلا مقابل يُذكر؛ فكانت النتيجة هبوط الجودة في التعليم.

ومن هنا بدأ البعض؛ أفراداً وجمعيات، بتنظيم حلقات التعليم الديني في أماكن مختلفة، ولكل منهم برنامجه الخاص، ويزداد الأمر سوءاً، فنسبة أطفال المسلمين الذين يتلقون علوماً إسلامية قليلة جداً بالكاد تتجاوز ٢٠٪.

أما نحن في «المركز الثقافي القلم»، فبرنامج التعليم لدينا على مستويين:

١– برنامج لتلاميذ أعمارهم ما بين ٦ إلى ١١ عاماً، يدرسون يومين في الأسبوع، بحصتين في تعليم الخط القرآني وقراءة القرآن الكريم وحفظ عدد بسيط منه لإقامة الصلاة، وحصتين لتعليم اللغة الإنجليزية.

٢– برنامج لتلاميذ أعمارهم ما بين ١١ إلى ١٥ عاماً، يدرسون يومين في الأسبوع (حصتان في قراءة القرآن الكريم قراءة مجودة، وحفظ أجزاء من القرآن، وحصتان في العلوم الإسلامية من التوحيد والعبادات والسيرة، وحصتان في اللغة الإنجليزية، وحصتان في تعليم الحاسوب).

أما الكبار فلهم برنامج خاص عبارة عن تعليم قراءة القرآن الكريم وعلوم إسلامية حول العبادات.

● المعلمون الذين يقومون على تعليم الأطفال، هل هناك شروط ومواصفات لهم؟

– المعلمون في وضع لا يُحسدون عليه، وهم على أشكال مختلفة، منهم من هو بلا شهادة أصلاً، ومنهم من تخرج في المتوسطة الإسلامية، ومنهم من تخرج في كلية ما في مقدونيا أو من دول عربية وإسلامية ولكن ليس لأحد منهم دبلوم في التعليم والتربية، ومنهم من يعمل تحت المشيخة الإسلامية كإمام في أحد المساجد ومن ثم كمعلم فيه، ومنهم من يعمل على مسؤوليته في مكان ما مناسب وغير مناسب.

والجميع ليس لهم أي دعم مادي من أي جهة رسمية إلا أولياء أمور التلاميذ؛ فالتعب والملل يهيمن على الآباء بسبب تحملهم أعباء التعليم الإسلامي، وعلى المعلمين بسبب عدم تشجيعهم مادياً ليستمروا طويلاً في هذا المجال، كذلك لغضبهم من عدم تنظيم دورات لهم لتحسين مستوى أدائهم لهذا العمل.

وأما تدريب المعلمين والاتفاقيات مع الجامعات في هذا السبيل فلا وجود له؛ بل مع الأسف الشديد ليس هناك أي نوع من لقاءات رسمية بين القائمين على هذا النشاط.

● ما أبرز العقبات التي تواجهكم في مجال التعليم الإسلامي للأطفال؟

– أكبر عقبات التعليم الإسلامي في مقدونيا «قانونية»؛ ففي المدارس الحكومية أدخلت مادة الدين كمادة ثقافية، وفي السنة الرابعة

فقط من تسع سنوات للتعليم الابتدائي والإعدادي، وأما في التعليم الثانوي فليس فيه تعليم إسلامي.

كما أن القانون لا يسمح بفتح مدارس أهلية خاصة للمرحلتين الابتدائية والإعدادية؛ فهو حق للدولة فقط، لكنه يسمح بفتح روضات أهلية للأطفال، وهي مرحلة مبكرة جداً لأي تعليم اللهم إلا نشر التربية الإسلامية، ويسمح القانون بفتح مدارس ثانوية أهلية وهي مرحلة متأخرة جداً لتلقي التعليم الإسلامي.

في مثل هذا الوضع القانوني لا يبقى إلا استغلال ما يسمح القانون به أي فتح روضات أهلية ومدارس ثانوية أهلية وكل منهما تحتاج إلى أموال لإنشائها وإدارتها، وحيث إن التعليم الحكومي يكون مجاناً، وكذلك روضات الأطفال التابعة للحكومة؛ فالمنافسة بين ما هو حكومي وأهلي صعبة جداً لا سيما أن الوضع الاقتصادي لعامة المسلمين لا يمكنهم من تحمل مثل هذه الأعباء.

وبناء على ذلك، فكل ما يمكن تحقيقه في مجال التعليم الإسلامي لعامة أطفال المسلمين هي تلك الدورات المنعقدة في بعض المساجد وبعض الجمعيات الثقافية غير الحكومية ومن بعض الأفراد.

● ما أبرز الإنجازات التي تحققت في مجال التعليم الإسلامي على مستوى البلاد؟

– وإن كان نشر التعليم الإسلامي معرقلاً وفي نطاق محدود كما أشرنا، لكنه تحسن بشكل ملحوظ بالمقارنة مع الوضع قبل ٣٠ عاماً؛ فقد أنشئت مدرسة «عيسى بك» الثانوية الإسلامي للبنين، ثم تم فتح فروع لها في كل من سكوبيا، وتيتوفا، وغوستوا، للبنات، ثم

كل ما يمكن تحقيقه لأطفال المسلمين مجموعة من الدورات في بعض المساجد!

التحول نحو الإسلام بألبانيا أسرع من كوسوفا ومقدونيا

نريد الضغط على الجهات المعنية لتحسين الوضع القانوني لأطفال المسلمين

كلية العلوم الإسلامية، كل ذلك أدى إلى تخريج عدد كبير من الأئمة والخطباء والمعلمين؛ فمنهم من توظف رسمياً مع المشيخة كإمام أو خطيب أو معلم براتب أو بغيره، وكثير منهم يمارس التعليم الإسلامي في نطاق المشيخة الإسلامية أو خارجها، وكل ساهم في تحسين مستوى التعليم الإسلامي وإن كان كل هذا التحسن قطرة ماء في البحر بالمقارنة مع متطلبات قضية التعليم الإسلامي.

● الشعب الألباني المسلم يعيش في عدة دول بمنطقة غرب البلقان، فهل هناك أي تنسيق بينكم في مقدونيا والمؤسسات المعنية بالتعليم الإسلامي في كل من كوسوفا وألبانيا؟

– التعليم الإسلامي في كوسوفا لا يختلف عن وضعه في مقدونيا؛ وإن كان التمسك بالإسلام من قبل المسلمين في كل من كوسوفا ومقدونيا أحسن مما هو في ألبانيا؛ إلا أن التحول في ألبانيا نحو الإسلام في مجال التعليم الإسلامي أقوى وأسرع.

ففي تسعينيات القرن الماضي كان طلاب ألبانيا يأتون إلى مقدونيا وكوسوفا لتعلم الإسلام، بينما اليوم في ألبانيا نجد أنه قد فُتح عدد كبير من المدارس الإسلامية كمدارس أهلية، وفيما بعد انضمت هذه المدارس إلى وزارة التعليم مع الاحتفاظ بمعالمها الإسلامية؛ الأمر الذي لم يحدث بعد لا في كوسوفا ولا في مقدونيا.

● ماذا عن رؤيتكم المستقبلية لتطوير التعليم الإسلامي في مقدونيا؟

– أرى أن للتعليم الإسلامي في مقدونيا والدول المجاورة مثل كوسوفا وألبانيا والجبل الأسود وصربيا الجنوبية مستقبلاً جيداً يتحسن فيه يوماً بعد يوم، نعم هناك مشكلات وعقبات، لكن التحسن مستمر منذ سقوط النظام الشيوعي إلى يومنا هذا، ونأمل أن يستمر هذا التحسن، قد يختلف التعليم الإسلامي في هذه الدول من حيث الكم والكيف من دولة إلى أخرى إلا أن التحسن فيه موجود.

● هل من رسائل للمؤسسات الإسلامية المعنية بالتعليم الإسلامي حول العالم؟

– نريد من المؤسسات المعنية بالتعليم الإسلامي حول العالم أن تعمل قدر استطاعتها في مجالين:

١- في مجال تأثيرها على الجهات المعنية في هذه الدول لتحسين الوضع القانوني في مجال التعليم الإسلامي لعامة أطفال المسلمين.

٢- في مجال تأثيرها على الجهات الرسمية الإسلامية في هذه الدول التي ورثت حق ممارسة كل ما يخص الدين الإسلامي وحدها وبلا منافسة من النظام اليوغسلافي الشيوعي كحق مقدس لها؛ ألا تنظر إلى من يمارسون التعليم الإسلامي خارج نطاقها كمفسدين للدين الإسلامي وخارجين عليه وترفض الأمر تماماً.■

أخبار الأقليات

شارك فيه ٥٠٠ طالب وطالبة بحلقات القرآن الكريم..

الفلبين: اختتام المهرجان الإسلامي الثقافي الرابع

ماجنداناو - جنوب الفلبين

اختتمت جمعية «مدرسي الحلقات» بالفلبين، في ١٢ نوفمبر الماضي، مهرجانها الثقافي الرابع، بمشاركة ٥٠٠ طالب وطالبة في فعاليات ختام المسابقات العلمية والرياضية التي استمرت على مدار يومين.

يذكر أن «جمعية مدرسي الحلقات» تشتمل على ١٧ حلقة لتحفيظ القرآن الكريم للبنين والبنات، وتنتشر بالقرى والمراكز المختلفة بجنوب الفلبين، وتضم المسابقة العلمية الرابعة فقرات دينية وعلمية وفنية ومعلومات عامة وفقرات خاصة بتنمية المواهب.

وللتعريف بـ«جمعية مدرسي الحلقات»، قال حبيب عثمان، عميد كلية الإرشاد للإمامة والدعوة في جنوب الفلبين، في تصريح لـ«المجتمع»: إنها جمعية تضم مدرسي المواد الإسلامية الدينية، والجمعية مرخص لها من الحكومة الفلبينية كجمعية غير حكومية.

وأضاف: لنا نحو ٥٠٠ طالب وطالبة في ١٧ حلقة بمساجد القرى والمراكز المختلفة بجنوب الفلبين، والحمد لله انتهينا من المسابقة العامة الرابعة لجمعية مدرسي الحلقات بالفلبين.

وحول الواقع الدعوي والتعليم الإسلامي في جنوب الفلبين حيث مناطق غالبية مسلمي البلاد، قال الشيخ عثمان: إننا نمر بأزمة كبيرة في الأعمال الدعوية، ونسعى لتأسيس مؤسساتنا التعليمية الإسلامية لسد الحاجة للكوادر الدعوية.

وبشأن أبرز التحديات التي تواجههم، شدد الشيخ عثمان على أن الدعم المالي لمسلمي الفلبين شبه غائب من قبل المؤسسات الإسلامية العالمية، وهو أكبر عائق أمامنا في تأسيس البنية التحتية لمؤسساتنا الدعوية والتعليمية.

يشار إلى أن جمعية «مدرسي الحلقات» بالفلبين تنظم هذا المهرجان السنوي برعاية من جمعية «دار الإرشاد الاجتماعي بالفلبين»، الذي يضم كذلك معهد «دار العربي الإسلامي»، ومركز «أبوبكر» لتحفيظ القرآن الكريم، وكلية الإرشاد للإمامة والدعوة.■

• حبيب عثمان

روسيا: وضع حجر أساس أول مسجد رسمي بجمهورية كاريليا

بيتروزافودسك - روسيا

تم في ١٤ نوفمبر الماضي وضع حجر الأساس ونصب لوحة تذكارية للشروع في تنفيذ مشروع المسجد والمركز الثقافي الإسلامي في «بيتروزافودسك» عاصمة جمهورية «كاريليا»، ذات الحكم الذاتي في أقصى شمال غرب روسيا.

وتتركز أهمية هذا المشروع في أمرين؛ الأول: أنه الأول من نوعه حيث سيكون له وضع قانوني رسمي يحمي دور العبادة، والثاني: أن قطعة الأرض المخصصة للمشروع هي هبة من أملاك الحكومة المحلية، وفقاً لعقد اتفاق سابق قبل سنوات بين الحكومة الكاريلية والإدارة الدينية لمسلمي جمهورية كاريليا.

وحول ميزة الوضع القانوني الرسمي للمساجد في روسيا، أوضح في تصريحات لـ«المجتمع»، د. وسام البردويل، رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في روسيا، أنه يوجد حوالي ٨ آلاف مسجد رسمي قانوني في روسيا، ونحو ألفي مسجد غير رسمي.

وأضاف: الدولة تسمح لمن اشترى أو استأجر عقارات أن يستفيد منها في إقامة شعائر دينه؛ إلا أنها لا تحظى بحماية الدولة.

وقد حضر حفل تدشين المشروع من داخل محافظة كاريليا كل من رئيس جمهورية كاريليا، ورئيسة بلدية العاصمة، ومفتي جمهورية كاريليا الشيخ عبد العزيز ديتكو، وهو كذلك عضو المكتب التنفيذي لاتحاد المنظمات الإسلامية في روسيا.

بينما من خارج المحافظة حضر الحفل كل من نائب رئيس مجلس شورى المفتين لروسيا، والنائب الأول لمفتي روسيا، ومفتي شمال غرب روسيا الشيخ محمد هني، ونائب مفتي جمهورية داغستان، وضيوف من مدن مختلفة مثل مورمانسك وكوستوموكشا وألونيتس، بالإضافة لجمع من مسلمي المدينة والإعلاميين، حيث تم تغطية الحدث في كل وسائل الإعلام المحلية المختلفة.

وقد تمت الموافقة واعتماد المخطط الهندسي للمركز بعد عمل كبير قام به فريق من المتخصصين، وقد اختير تصميم المسجد لمهندس كاريلي محلي معروف، والمكان يعتبر قريباً من مركز المدينة وفي منطقة تقاطع طرق مهمة، وستكون مأذنة المسجد وقبته من أول معالم المدينة التي يراها الزائر لبيتروزافودسك.■

تونس: «الحقيقة والكرامة» تؤكد إنجاز مهامها قبل مايو المقبل

لاستجلاء آخر ما وصل إليه مسار العدالة الانتقالية، وللرد على استفسارات ضحايا الاستبداد، نظمت هيئة الحقيقة والكرامة بالتعاون مع الجمعيات التي تعنى بضحايا القمع اجتماعاً شارك فيه عدد من الضحايا من مختلف التوجهات السياسية، وذلك لمعرفة آخر تطورات ملف العدالة الانتقالية، ولا سيما تسوية المسار المهني، وصندوق الكرامة لتعويض ضحايا الاستبداد مادياً ومعنوياً وصحياً.

تونس: عبدالباقي خليفة

اشتكى الضحايا من حالة الإرهاق التي يعانون منها؛ حيث تمثل السنوات السبع الماضية ثلث فترة حكم «بن علي»، مرددين شعار «قبل الثورة مساجين.. بعد الثورة مضطهدون»، بما في ذلك معاناتهم الصحية الناتجة عن فترة السجن، وتسوية المسار المهني وعدم صدور الأمر الترتيبي الخاص بصندوق الكرامة، وجبر الضرر، والمعايير المتعلقة بذلك.

كما طالبوا بأن يكون من بين المشرفين على الصندوق ضحايا للاستبداد، وشددوا على أهمية التعويض المادي؛ «أعطونا حقوقنا وسنداوي أنفسنا بأنفسنا»، كما اشتكى البعض من خروج الكثير من المناضلين من الوظيفة العمومية، وطلب إدارة الهيئة شهوداً لإثبات المظالم، وطالبوا بالمرونة في التعامل مع ضحايا الاستبداد.

كما طالب البعض بعدم تغييب بعض من تعرضوا لمظالم في العهد السابق، وصلت حد اختطاف عرسان ليلة زفافهم، واعتقالات ليلة الامتحانات، وتطليق أزواج، ومنع من الدراسة بسبب الحجاب أو اللحية، وسجن بسبب حمل أفكار لا تعجب النظام الحاكم، واحتجوا على تعيين جلادين في مواقع قيادية بعد الثورة، وتساءل بعض الحاضرين عن تركيبة الهيئة وما يقال بأنها تعمل بدون النصاب القانوني.

هيئة وطنية لحفظ الذاكرة

رئيسة هيئة الحقيقة والكرامة، سهام بن سدرين، أكدت للمشاركين أهمية صدور الأمر التنفيذي من رئاسة الحكومة والمتعلق بصندوق الكرامة قبل انتهاء العام الجاري ليتم التحرك للبحث عن التمويل، ودعت المنظمات المهتمة بالعدالة الانتقالية إلى الدفع باتجاه تقديم مبادرة تشريعية يتبناها ما لا يقل عن ١٠ نواب بمجلس نواب الشعب لتأسيس هيئة مستقلة تتولى مهام استكمال مسار العدالة الانتقالية بعد أن تنهي هيئة الحقيقة والكرامة مهامها.

وحول نصاب مجلس إدارة الهيئة قالت بن سدرين: إن الهيئة تعمل بتسعة أعضاء، وأنها قامت باستشارة قانونية أكدت شرعية قراراتها، إذ إن مسألة سد الشغور مهمة مجلس نواب الشعب.

وأشارت إلى أن الهيئة تتعامل مع المناضلين على أساس أنهم ضحايا الاستبداد، وليس على قاعدة أنهم من حزب حركة النهضة، أو الجبهة الشعبية، أو القوميين أو اليوسفيين أو غيرهم، وما يهمها هو آثار الانتهاكات، ومن سلطت عليه، ومن قام بها، ولماذا قام بها، ونحن نرفض تقسيم الضحايا على أساس حزبي أو مرحلي، وإنما ضحايا للاستبداد فقط.

وبخصوص جبر الضرر وعدت بن سدرين بعقد اجتماع في وقت لاحق لكشف مسار التوجهات في هذا الشأن، وسنضع تصوراتنا حول مختلف المسائل في خارطة طريق، بما في ذلك وضع برنامج شامل لجبر الضرر الفردي والجماعي وضبط المعايير وتحديد طرق الصرف كما هو منصوص عليه في قانون العدالة الانتقالية.

نائب رئيسة هيئة الحقيقة والكرامة محمد بن سالم، أشار إلى أن المناخ السياسي الذي تعمل به الهيئة ويتم فيه معالجة ملف العدالة الانتقالية يؤثر بطريقته في المسار المرتبط حسب قوله بالتوازنات السياسية، التي تغيرت منذ انتخابات عام ٢٠١٤م، وأصبحت هناك عقبات، والتوازن ماض في اتجاه التعطيل، حسب وصفه.

بيد أن رئيسة الهيئة سهام بن سدرين أكدت أن صدور الأمر الترتيبي من قبل رئيس الحكومة سيسهل كثيراً عمل الهيئة، وستكون الدولة التونسية أول من يساهم في هذا الصندوق، ثم الهبات، وهناك وعود من شأنها أن تحفظ كرامة المناضلين.

وأعربت بن سدرين عن أملها في وقف وزارة الداخلية مقاطعتها للهيئة والتعامل معها من خلال تمكينها من الوصول إلى ملفات الضحايا ومن كان يقوم بالوشاية بهم لدى أجهزة الأمن فيما يتعلق بالقضايا السياسية وقضايا الحريات عموماً.

في نهاية شهر مايو ٢٠١٨م تنهي هيئة الحقيقة والكرامة مهامها الموكلة إليها، حيث تكمل سنتها الرابعة، وهناك نية لعدم مواصلة العمل لمدة عام آخر كما هو مخول للهيئة في قانون العدالة الانتقالية، على أمل أن تنجز الهيئة ما هو مطلوب منها، وترك الأمر لهيئة أخرى تتابع التوصيات وتنفيذ القرارات، وهو خيار نص عليه قانون العدالة الانتقالية.■

محللون سياسيون مغاربة لـ«المجتمع»:

إعفاء الملك وزراء من الحكومة لا يمكن فصله عن حراك الريف

بعد خطاب الملك المغربي محمد السادس في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية لمجلس النواب في منتصف أكتوبر الماضي، الذي دعا فيه إلى إحداث «زلزال سياسي» بغية تحقيق النموذج التنموي المنشود سيمكن المغاربة من ضمان حقوقهم، والتأويلات متواصلة حول معنى هذا الخطاب.. وقد ربط الرأي العام المغربي هذا الزلزال السياسي بكل تغيير منشود في سلوك الساسة وغيرهم، أو في تغيير المناصب والمسؤوليات من أجل تجاوز الوضع الاقتصادي، وحل المشكلات الاجتماعية والسياسية، لاسيما مع تعثر عدد من المشاريع المهمة التي أطلقها المغرب لتنمية جهاته وأقاليمه، ومنها مشروع لتنمية أقاليم الشمال المغربي، وتزامن ذلك مع تنامي الاحتجاجات وما صاحبها من توتر اجتماعي أدى إلى صدام بين المواطنين وأجهزة الدولة كما أدى إلى اعتقال عدد من المحتجين.

الرباط: عبدالغني بلوط بن الطاهر

أخذ مفهوم الزلزال السياسي بعداً سياسياً، بعدما أقدم الملك محمد السادس على إعفاء عدد من الوزراء وحرمان آخرين من تقلد مسؤوليات في المستقبل، وذلك اعتماداً على تقرير للمجلس الأعلى للحسابات الذي كشف إخلالاً بالمسؤولية الملقاة على عاتق هؤلاء المسؤولين الكبار.

ولوحظ أن الإعفاءات لم تطل وزراء من العدالة والتنمية الذي يرأس الحكومة المغربية بقيادة سعد الدين العثماني، كما لم يحمل الأمين العام للحزب عبدالإله بن كيران، رئيس الحكومة السابقة، أي مسؤولية في تعثر المشاريع، وهو الذي سبق أن صرح أنه التوقيع عليها لم تكن في علمه، لإخلاء ذمته من مسؤوليتها.

كما لم يشمل قرار الإعفاء أي وزير من التجمع الوطني للأحرار (حزب إداري يتم إعداده حسب متتبعين لرئاسة الحكومة في الفترة المقبلة)، لكن القرار طال وزراء من التكنوقراط، ومن حزب إداري هو الحركة الشعبية، والمثير هو أن القرار شمل وزيرين من حزب التقدم والاشتراكية الذي ربط مصيره دائماً في الحكومة بحزب العدالة والتنمية، وهما الوزير نبيل بن عبدالله، الأمين العام للحزب، والحسين الوردي، وزير الصحة، الذي كان ابن كيران يشيد بعمله وإجراءاته الجريئة لإصلاح القطاع.

حراك الريف

واختلفت ردود أفعال المحللين السياسيين حول لجوء الملك المغربي محمد السادس إلى فصل من الدستور (الفصل ٤٧) من أجل القيام بهذه الخطوة، التي لقيت استحساناً في الشارع العام، مع ترقب الإقدام على إجراءات عملية من أجل تحسين ظروف عيش المغاربة، والخروج من الاحتقان الاجتماعي لأقاليم الشمال.

وتم ربط هذا القرار الملكي بالأساس بما تعرفه أقاليم الشمال من احتجاجات، وفي هذا الإطار قال د. جواد الرباع، أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري، في تصريح لـ«المجتمع»: إن قرارات الملك إعفاء عدد من الوزراء والمسؤولين تحمل مجموعة من الدلالات الدستورية والسياسية، وبالتالي لا يكمن فصلها عن الحراك الاجتماعي والحقوقي بمنطقة الريف (شمال المغرب) ومحاولة إيجاد مخرج لتجاوز حالة الاحتقان الاجتماعي.

وأشار الرباع إلى أن العرض السياسي لدى الفاعلين السياسيين بعد دستور ٢٠١١ يبرز أزمة الوسائط الاجتماعية التي أصبحت عاجزة عن تلبية الطلب الاجتماعي والاقتصادي، علاوة على فشل السياسات العمومية والترابية والقطاعية وفشل النموذج التنموي، وظهور ديناميكية اجتماعية تسعى إلى اقتسام الثروة وتوزيع السلطة وتحقيق سؤال العدالة الاجتماعية.

كلفة سياسية كبيرة

ولاحظ الحسين أعبوشي، أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري، أن لجوء الملك للفصل (٤٧) من أجل إعفاء عدد من الوزراء، أثار نقاشاً عمومياً غير مسبوق في الحياة السياسية المغربية، وكانت له تداعيات في الحقل السياسي المغربي بالنظر إلى بعض الفراغات التي تعتري النص الدستوري المثير للجدل، وأكد أعبوشي أن لجوء الفاعل السياسي المتكرر لفصل من فصول الدستور المغربي فرضته السياقات والضرورة.

وأضاف أعبوشي أن الإعفاءات الأخيرة للوزراء على خلفية نتائج تقرير المجلس الأعلى للحسابات بخصوص برنامج الحسمية منارة المتوسط، فقد تم في إطار احترام تام لدولة القانون، من خلال احترام المرجعية الدستورية، الفصل الأول الفقرة الثانية المتعلقة بربط المسؤولية بالمحاسبة، واحترام المساطر من خلال اعتماد نتائج تقرير مؤسسة دستورية وهي المجلس الأعلى للحسابات، وانطلاقاً من صفة رئيس الدولة الذي يسهر على صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات، واعتماداً على الفقرة الثانية التي تخول للملك بعد استشارة رئيس الحكومة أن يعفي عضواً أو أكثر من أعضاء الحكومة من مهامهم، كما لجأ الملك لهذا الفصل لإعفاء بعض الوزراء بشكل منفرد بعد النقاشات التدبيرية التي أثاروها.

وحول الفراغ القانوني الذي تركه الفصل (٤٧) بخصوص مدة المشاورات لتشكيل الحكومة، أكد أعبوشي أن الغموض في العديد من الدساتير يكون مقصوداً لخلق مساحة للتأويل حسب السياق وموازين القوى، لكن في بعض الحالات، ومنها الحالة التي نحن بصددها، فالفراغ قد يحمل مخاطر كالفراغ المؤسساتي الذي يكون له كلفة سياسية كبيرة على الحياة السياسية والاقتصادية.

وأبرز أعبوشي أن كل إعفاء يفسر باستحضار السياق، والعناصر المرتبط به، فإعفاء الملك لعبدالإله بن كيران هو إعفاء لرئيس حكومة مكلف بتشكيل الحكومة، لتكتمل بعد العناصر الدستورية والمؤسسية ليصبح رئيساً لحكومة بأغلبية برمانية وبتنصيب برلماني، وإعفاء الوزراء هو إشارة إلى رغبة الدولة في تفعيل الحقل السياسي، وتفعيل مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة والذي جاء في دستور ٢٠١١.

حضور قوي للملكية

وحول الدلالات السياسية للقرار، أبرز د. جواد الرباع أن الإعفاءات الأخيرة تؤشر من الناحية الدستورية على الحضور القوي للملكية التنفيذية بمجموعة من الصلاحيات والسلطات على مستوى السياسة العامة الإستراتيجية للدولة، خصوصاً أمام الغياب التام والكلي لرئيس الحكومة في القرارات الأخيرة وباقي الأحداث السياسية والاجتماعية.

الإعفاءات لم تطل وزراء من العدالة والتنمية الذي يرأس الحكومة ولا التجمع الوطني للأحرار

الرباع: لا يكمن فصل القرارات عن حراك الريف ومحاولة إيجاد مخرج لتجاوز حالة الاحتقان الاجتماعي

وأشار الرباع إلى أن إعفاء وزير على رأس الأمانة العامة لحزب التقدم والاشتراكية رسالة سياسية وقرار واضح للحزب الذي كان الحليف الإستراتيجي لحزب العدالة والتنمية؛ وبالتالي فلا شك أن هذا الإعفاء سيؤثر على البيت الداخلي لحزب التقدم والاشتراكية الذي فرض عليه إعادة النظر في خياراته والتفكير في الخروج إلى المعارضة.

وفي هذا السياق، قال الباحث عز الدين العلام: إن ما أثاره في القرار الملكي إعفاء الوزراء هو إضافة نوع «عقوبات استثنائية» لا توجد في جميع القوانين المدنية والجنائية، وهي عدم تحمل أي مسؤولية مستقبلاً.

وأضاف أن الإعفاء يبرز أن الملك كان دائماً وسيبقى هو السلطة الفعلية والمركزية في البلاد، لأن الدستور المغربي يتيح له ذلك، كما أن السلطان تاريخياً هو المسؤول الأول والأخير عما يقع في مملكته.

ويرى المحلل السياسي د. مصطفى السحيمي أن إعفاء الوزراء وضع المغرب في مرحلة جديدة من تفعيل مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة، وأكد أن محاسبة الوزراء في جزء منها لها بُعد سياسي واتسمت بالانتقائية، وأبرز أن تسعة وزراء لهم علاقة مباشرة بمشاريع الحسيمة، بينما هناك وزيران من العدالة والتنمية هما عزيز رباح، وزير التجهيز، وعبدالقادر إعمارة، وزير الطاقة والمعادن، لم يشملهما الإعفاء، والهدف من الإعفاء إسقاط رؤوس كبيرة بحكم الانتظار الكبير للساكنة في الريف وأيضاً لعموم الرأي العام الوطني، والحرص على عدم المس بحزب التجمع الوطني للأحرار الذي يرأسه الملياردير عزيز أخنوش (تم توليته بعد ظهور نتائج الانتخابات التشريعية)، وخاصة وزير الاقتصاد والمالية محمد بنسعيد المنتمي للحزب ذاته، ولا بحزب العدالة والتنمية مع الرباح أو إعمارة، لأن من شأن ذلك أن يضعف حكومة سعد الدين العثماني، الذي يعيش صعوبات منذ تعيينه في أبريل الماضي، ويقوي التيار المساند للأمين العام لحزب العدالة والتنمية الذي رفض إعفاءه من رئاسة الحكومة، وهو ما لم يريده عدد من المنافسين.

أما د. جواد الرباع، فأكد أن هذه الإعفاءات لا يمكن فصلها عن الحالة الاستثنائية والنقاشات الداخلية التي يعرفها حزب العدالة والتنمية خصوصاً بعد تعديل المادة (١٦) من النظام الأساسي للحزب، التي تفتح المجال أمام ولاية ثالثة للأمين العام، وبالتالي فهي رسالة واضحة لمخرجات المؤتمر القادم الذي سيكون محصوراً في نقاشه الداخلي في الجواب عن هذه الرسائل السياسية أو القبول بسياسة الأمر الواقع.■

تطور المشهد الليبي في ظل صراعات أقطاب «عملية الكرامة»

مروان الدرقاش

تتواصل التصدعات التي تضرب «عملية الكرامة» التي تسيطر على الشرق الليبي بقيادة العسكري المتقاعد خليفة حفتر، وسط تكهنات تُنذر باحتدام الصراع بين مليشيات حفتر ذات الانتماءات المتباينة بين البُعد القبلي والديني المتطرف، وخليط لصحوات المدن المتشكلة غالبيتها من السجناء الفارين من سجن الكويفية في بنغازي، وبعض العسكريين من بقايا الجيش المتهالك الذي تركه نظام القذافي.

التنافس السياسي بين حفتر والسراج أوجد حالة من الحرب الباردة تُستعمل فيها الخلافات

الورفلي يهدد حفتر بفضح علاقته باغتيالات في حال تم تسليمه إلى محكمة الجنايات

الدعم الإقليمي يجعل عمليات القضاء على وجود حفتر من الصعوبة بمكان

بعد الانشقاقات السابقة من قبل ضباط كانوا قادةً في «عملية الكرامة» ولعل أبرزهم العقيد فرج البرعصي، آمر غرفة عمليات بنغازي، حيث حدث صدام بينه وبين حفتر وصل إلى حد الاعتداء عليه وعلى ممتلكاته في مدينة البيضاء، إلا أن تدخل أطراف قبلية من قبيلة البراعصة والعبيدات أوقف الصراع المحتدم بينه وبين حفتر، ثم تلى ذلك انشقاق الرائد محمد الحجازي، من قبيلة العرفة بمدينة المرج، وكان يشغل منصب الناطق الرسمي لـ«عملية الكرامة»، حيث اتهم الحجازي الجنرال حفتر بوقوفه خلف الاغتيالات والتفجيرات التي راح ضحيتها الكثير من العسكريين والإعلاميين والناشطين خلال عامي ٢٠١٣ و٢٠١٤م في مدينة بنغازي، وكانت أحد الأسباب المعلنة لقيام «عملية الكرامة»، وهي الاغتيالات التي كان حفتر يتهم ثوار بنغازي بارتكابها.

وهو ما أكده بعد ذلك العقيد فرج قعيم، أحد القيادات العسكرية لـ«عملية الكرامة»، وأحد شباب قبيلة العواقير الذين كان لهم الدور الأبرز في الحرب التي شنتها مليشيات «الكرامة» في بنغازي، ويُعرف عن قعيم شراسته ووحشيته في التعامل مع خصومه وارتكابه العديد من الجرائم خلال حرب «الكرامة» في بنغازي، حيث كان يمارس أعمال تهجير المدنيين وحرق بيوتهم وخطف واغتيال أقارب الثوار وذويهم.

قعيم، الذي استطاع فائز السراج، رئيس المجلس الرئاسي المعين من البعثة الأممية، من استمالته عبر منحه منصب وكيل وزارة الداخلية في حكومة الوفاق الوطني، أصبح هو الآخر أشد قيادات «الكرامة» عداوةً لحفتر، حيث تطورت الخصومة بين الرجلين إلى أن تمت محاولة اغتياله مرتين عبر سيارة مفخخة تستهدف موكبه، ثم هجوم قامت به المليشيات التابعة لصدام حفتر، ابن خليفة حفتر وقائد

المليشيا ١٠٦ التابعة لحفتر، حيث قامت هذه المليشيا باستهداف مقر فرج قعيم داخل بنغازي بقذائف صاروخية أسفرت عن مقتل مجموعة من عناصر القوة التابعة لقعيم؛ مما جعل قعيم يخرج على الإعلام ويهاجم خليفة حفتر بسيل من الاتهامات، من بينها التخطيط وارتكاب العديد من التفجيرات والاغتيالات قبل «عملية الكرامة»، ووجه قعيم أصابع الاتهام أيضاً إلى خليفة حفتر في مجزرة الأبيار الشنيعة التي عُثر فيها على ٣٦ جثة مقيدة وعليها آثار تعذيب في صحراء منطقة الأبيار جنوب بنغازي.

صراع المناصب

هذه الصراعات جاءت على خلفيات عديدة، ولكن أشهرها التنافس السياسي الحاد بين قائد «عملية الكرامة» خليفة حفتر الذي يحظى بدعم رئيس البرلمان في طبرق وكذلك مجموعة كبيرة من أعضاء البرلمان، وفائز السراج، رئيس المجلس الرئاسي المنبثق عن اتفاق الصخيرات، الذي يمارس مهامه من العاصمة طرابلس، ويحظى بدعم دولي ومحلي من شركائه في المجلس الرئاسي الذي يتكون من عدة أطراف سياسية في البلاد.

التنافس السياسي بين الرجلين أوجد حالة من الحرب الباردة تُستعمل فيها الخلافات التي تبرز بين الحين والآخر بسبب صراع المناصب وإغراءات المال والنفوذ، فبعد أن قام فائز السراج باستقطاب العقيد المهدي البرغثي، وهو أشهر قادة «عملية الكرامة» وكان يتولى قيادة الكتيبة «٢٠٤ دبابات»، بتنصيبه وزيراً للدفاع في حكومته، وهو الأمر الذي

خليفة حفتر | فرج البرعصي | محمود الورفلي

أغضب خليفة حفتر، وتسبب في تعرض البرغثي لمحاولة اغتيال في بنغازي ألجأته إلى الفرار إلى العاصمة طرابلس، ومحاولاته المتعددة للانتقام من حفتر عبر دعم محاولات سرايا من ثوار بنغازي حاولت مهاجمة «عملية الكرامة» والدخول إلى بنغازي.

كذلك ما حدث مع إبراهيم جضران الذي استماله السراج بعد أن كان متحالفاً هو وقبيلته (المغاربة) في مدينة أجدابيا مع حفتر في السيطرة على الموانئ النفطية، لكن تحالفه مع السراج جعل حفتر يشن حرباً لطرده من الموانئ النفطية والتنكيل به وبقبيلته.

آخر هذه التصدعات الخلافات الحادة التي خرجت على العلن مؤخراً بين قائد مليشيا الصاعقة الرائد محمود الورفلي المطلوب من محكمة الجنايات الدولية بتهمة ارتكاب جرائم حرب، وخليفة حفتر، حيث ظهر مؤخراً تسجيل صوتي لمكالمة هاتفية بين الورفلي وسكرتير خليفة حفتر يهدد فيها الورفلي قائد «عملية الكرامة» بالويل والثبور إذا ما تجرأ على تسليمه إلى محكمة الجنايات الدولية، وتحدث الورفلي بشكل واضح بأنه قادر على قلب الوضع في بنغازي ضد خليفة حفتر إذا شعر بأنه سيتم التضحية به لمحكمة الجنايات.

والورفلي مطلوب جنائياً بتهمة ارتكاب جرائم حرب من قبل محكمة الجنايات الدولية التي أصدرت مذكرة توقيف بحقه، وطالبت الحكومة الليبية بتسليمه، حيث تتهمه المحكمة بقتل معتقلين رمياً بالرصاص خارج إطار القانون، وتمتلك المحكمة أدلة ووثائق وتسجيلات فيديو لعمليات تصفية وإعدامات ميدانية قام بها الورفلي في بنغازي خلال عام ٢٠١٦م، ويخشى خليفة حفتر أن يتم توريطه في هذه الجرائم إذا ما قام بتسليم الورفلي، حيث إن هذه الإعدامات جرت وفق أوامر مباشرة من خليفة حفتر.

أما في مدينة طبرق حيث مقر البرلمان الداعم لحفتر وموطن قبيلة العبيدات إحدى القبائل الداعمة لحفتر، فقد أصدر رئيس أركانه الناظوري أمراً بالقبض على عميد بلدية المدينة لذهابه إلى طرابلس واجتماعه مع السراج، حيث اعتبر حفتر ذلك جريمة بالتعامل مع حكومة غير شرعية لم تحظَ باعتماد وثقة البرلمان، حسب زعمه، لكن أعيان قبيلة العبيدات استقبلوا عميد بلدية طبرق في المطار بعد قدومه من طرابلس وسط أجواء مشحونة ومترقبة خوفاً من هجوم خاطف تقوم به مليشيا صدام حفتر قد تستهدف عميد بلدية طبرق.

محمود سليمان العبيدي هو الآخر ضابط معاد لـ«عملية الكرامة»، وأحد أبناء قبيلة العبيدات، وأحد سكان مدينة طبرق، قام السراج بتنصيبه آمراً على المنطقة العسكرية الشرقية؛ مما جعله مستهدفاً من خليفة حفتر، وأحد أسباب تصدع حلفه مع قبيلة العبيدات حيث نشر سليمان محمود على صفحته في «فيسبوك» دعوات لأبناء قبيلته للدفاع عن مدينة طبرق والاستعداد لمواجهة مليشيات «الكرامة» التي تريد أن تفعل في أبناء القبيلة ما فعلته في قبيلة البراعصة والمغاربة والعواقير، ويُحذر بأنه إذا حاولت مليشيات حفتر التقدم نحو طبرق فإن حرباً لن تتوقف إلا بإزالة حفتر من الوجود.

طرق مسدودة

ورغم كل هذه التصدعات والانشقاقات في «عملية الكرامة» فإن ما يحظى به حفتر من دعم من بعض الدول الإقليمية يجعل عمليات القضاء على وجوده من الصعوبة بمكان حتى مع الحجم الكبير من الصراعات والخلافات، كما أن سيطرته التامة على رئاسة البرلمان وتوريطه لقيادات قبلية وسياسية معه في جرائم حرب وعمليات فساد جعلت مصيرهم مرتبطاً بمصيره، وهو ما سيطيل أمد هذه الصراعات، ويصعب معه التكهن بنتائجها، وخلال ذلك كله تبقى الطرق مسدودة أمام أي تقدم للعملية السياسية في ليبيا في ضوء الرغبة الجامحة لخليفة حفتر للوصول إلى حكم ليبيا بأي وسيلة ولو كان ذلك بقتل نصف الليبيين.■

تسببت خطوة مسعود البارزاني بالدعوة لاستفتاء شعبي في إقليم كردستان العراق في سبتمبر الماضي بأزمة ألقت بظلالها على علاقات الإقليم ببغداد والدول الإقليمية المجاورة وفي مقدمتها تركيا.

واليوم، وبعد أسابيع عدة من الاستفتاء والتطورات اللاحقة عليه، ما زال الإقليم بحاجة إلى مراجعة دقيقة وشفافة وشاملة لمجمل المسار وما تركه من ندوب في جسم العلاقات سالفة الذكر واستخلاص الدروس للمستقبل.

استفتاء كردستان.. ومستقبل العلاقة بين أربيل وأنقرة

د. سعيد الحاج

تركيا الرئة التي يتنفس منها الإقليم اقتصادياً من خلال التجارة البينية والاستثمارات وشركات البناء

الاستفتاء وفق النظرة التركية لم يعد شأناً عراقياً داخلياً وإنما قضية إقليمية معقدة

حتى إعلان البارزاني عن نيته إجراء الاستفتاء، كانت العلاقات بين أنقرة وأربيل على أفضل ما يرام، بل لعلها وصلت أحياناً إلى حدود التحالف، صحيح أن تركيا عارضت في تسعينيات القرن الماضي قيام حكم ذاتي للأكراد في شمال العراق كما تعارض الآن نفس الأمر بالنسبة لأكراد سورية، لكنها انتهجت سياسة إيجابية مع الإقليم لأسباب كثيرة في مقدمتها قيادته السياسية المنافسة لحزب العمال الكردستاني والمتعاونة مع أنقرة في مكافحته، والعلاقات الاقتصادية بين الطرفين، والمصلحة المشتركة في ظل توتر علاقات الطرفين مع بغداد وإيران.

وهكذا، باتت أربيل أقرب لأنقرة منها لبغداد في كثير من المحطات، أهمها أزمة معسكر بعشيقة التركي في شمال العراق قبيل إطلاق عملية الموصل ضد «داعش»، فضلاً عن اتفاقات تصدير نفط الإقليم عبر الأراضي التركية، أكثر من ذلك، عولت أنقرة في السنوات القليلة الأخيرة على دور للبارزاني في حل القضية الكردية الداخلية، فحضر في بعض المؤتمرات إلى جانب رئيس الوزراء في حينها – الرئيس الحالي – «أردوغان»، وحل ضيفاً مهماً على أنقرة في مرات كثيرة رفع خلالها علم كردستان إلى جانب العلم التركي بعد أن كان مجرد لفظ الاسم محظوراً في تركيا، الأمر الذي أغضب حزب الحركة القومية المتحالف سياسياً مع العدالة والتنمية.

في المقابل، أصبحت تركيا الرئة التي يتنفس منها الإقليم اقتصادياً، من خلال التجارة البينية البرية، والاستثمارات

وشركات البناء التركية، وقوافل الشاحنات التجارية المحملة بالمواد الغذائية الضرورية للإقليم، كما قدمت أنقرة مساعدات عسكرية وأمنية ومالية كبيرة، على شكل رواتب للموظفين أو قروض لحكومة الإقليم أو تدريب وتسليح لقوات البيشمركة كما في معسكر بعشيقة وغيره.

حسابات تركيا

هذه العلاقات أكثر من الجيدة بين أنقرة وأربيل لم تكن تعني أن الأولى مستعدة لقبول مسار استقلال وانفصال الإقليم، فهي ترى ذلك إضراراً بأمنها القومي، لجهة تعقيد القضية الكردية في تركيا من جهة، والتسبب في مواجهات أو فوضى في العراق الذي تعتبره عمقاً لها وجوارها القريب بما يمكن أن يشعل المنطقة بأسرها بصراعات على أسس عرقية إضافة للمذهبية القائمة أصلاً، بما يعني أن الاستفتاء وفق النظرة التركية لم يعد شأناً عراقياً داخلياً، وإنما قضية إقليمية معقدة، سيما وأنه أتى بقرار أحادي منفرد من قيادة الإقليم مخالف للدستور العراقي ودون موافقة حكومة بغداد المركزية، فضلاً عن مشاورة دول الجوار وأهمها تركيا وإيران.

توجست أنقرة من قرار الاستفتاء الذي أتى دون استشارة حليفها البارزاني لها، ورأت أنه قد يكون مقدمة لعدة تطورات مترابطة ومتتالية في المنطقة قد تصل لتقسيمها هي أيضاً لاحقاً، ولذلك كان قرارها واضحاً وحاسماً برفضه ومواجهته، كانت أنقرة تأمل بإقناع البارزاني بالعدول عن خطته، ولعلها على مدى السنوات السابقة قد عولت على العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية الجيدة مع الإقليم في أن تمنحها القدرة على التأثير عليه ومنع سيناريو الانفصال التام والاستقلال، أما وقد أصمّ الرجل أذنيه عن نصح أنقرة، فقد اعتبرت الأخيرة ذلك «خيانة» لها كما جاء على لسان «أردوغان».

الاستفتاء أُجري رغم اعتراض بغداد وتحفظات أنقرة وطهران وغياب الدعم الدولي

بارزاني أكبر الخاسرين حيث خسر كركوك والمناطق المتنازع عليها ودعم تركيا

الرغبة التركية في إعادة العلاقات إلى سابق عهدها تبدو موجودة ضمناً ولكنها مشروطة برغبة الطرف الآخر

طالبت تركيا البارزاني بإلغاء قرار الاستفتاء، وحاولت الضغط عليه قدر الإمكان بهذا الاتجاه، فتدرجت تصريحاتها مع مرور الوقت واقتراب الموعد من اعتباره «خطأ» ينبغي العودة عنه إلى التحذير من تسببه بحرب أهلية أو صراع دولي، إلى التلويح بالعقوبات وتهديد الرئيس التركي بأن كل الخيارات موضوعة على الطاولة.

وكان في يد أنقرة ثلاث حزم من الإجراءات المحتملة:

الأولى: تتعلق بالشق الاقتصادي المهم جداً للإقليم كما سبق تفصيله، وما زاد من أهمية هذا المسار غلق طهران حدودها البرية مع الإقليم.

الثانية: العلاقات السياسية؛ حيث كان من المتخيل ألا يغامر البارزاني بعلاقاته الجيدة مع أنقرة وأن يحرص على عدم إغضابها والذهاب إلى آخر الشوط، بمعنى أن احتمال تخفيض أو اهتزاز هذه العلاقات كانت ورقة ضغط بيد أنقرة.

الثالثة: القوة العسكرية، وهي ورقة لم تهدد بها تركيا بشكل علني وواضح في البدء، إلا أنها كانت ماثلة دائماً من خلال التواجد العسكري في معسكر بعشيقة والعمليات الجوية المتكررة ضد معاقل الكردستاني في جبال قنديل، لكنها بدت أكثر وضوحاً مع المناورات العسكرية التي بدأها الجيش التركي قرب الحدود العراقية في سبتمبر الماضي التي انضمت لها قوات عراقية لاحقاً.

أجرى البارزاني الاستفتاء رغم اعتراض بغداد وتحفظات أنقرة وطهران وغياب الدعم الدولي، اللهم إلا من الكيان الصهيوني، الأمر الذي أدى إلى حالة من التفاهم بين حكومة بغداد المركزية وإيران وتركيا على مواجهته وتقويض مقومات الاستقلال والانفصال، بادرت حكومة بغداد إلى تحركات ميدانية للسيطرة على المرافق الرئيسة في كركوك والمناطق المتنازع عليها والمعابر الحدودية، في ظل موافقة وتأييد من كل من أنقرة وطهران، وهو ما دفع البارزاني لتحمل مسؤولية المسار الخاطئ الذي اتخذه عناداً، وتراجع قيادة الإقليم ودعوتها للحوار وتجميد نتيجة الاستفتاء التي فقدت أهميتها ودلالاتها بطبيعة الحال.

مستقبل العلاقة

في حسابات الربح والخسارة، كان البارزاني (ومعه الإقليم) أكبر الخاسرين، فخسر كركوك برمزيتها التاريخية وثقلها الاقتصادي، ومجمل المناطق المتنازع عليها، والكثير من مجالات السيادة ومقومات الانفصال، ودعم تركيا وثقتها، والاستفتاء كورقة ضغط، وتسيُّدَه للمشهد الكردي في الإقليم، وسمعته كسياسي مخضرم حين ظهر كمغامر لم يحسب قراره بدقة، فكان أن دفع الثمن أو تحمل المسؤولية بالانسحاب من المشهد.

بالنسبة لتركيا، فقد حققت مكسباً إستراتيجياً من خلال تحقيق هدفها بجعل مسار الاستقلال من طرف واحد شبه مستحيل ومنع مسار الانفصال وتأسيس دولة (دويلة) على أسس عرقية على حدودها، وهي أولوية سياستها الخارجية في السنوات الأخيرة في كل من سورية والعراق.

ولكن في المقابل، ثمة خسائر تكتيكية مهمة لتركيا أيضاً في هذا الملف بدت مضطرة لها، أهمها تراجعها النسبي أمام النفوذ الإيراني المتعمق في العراق خصوصاً بعد التطورات الأخيرة في كركوك وغيرها، وإضعاف حليفها السابق البارزاني وخروجه من المشهد السياسي، وتقوية الأطراف الأخرى في المعادلة الكردية وفي مقدمتهم حزب العمال الكردستاني المصنف على قوائم الإرهاب التركية وتيار الطالباني أي الاتحاد الوطني الكردستاني القريب من طهران.

الأهم، في المحصلة، هو بقاؤها دون ظهير قوي ومستقر في العراق إذ إن الإطار الثلاثي مع كل من بغداد وإيران كان اتفاق الضرورة لمواجهة مخاطر مشتركة أكثر منه تعاوناً عميقاً أو تحالفاً إستراتيجياً، مما قد يهدد نفوذ تركيا ومصالحها في البلاد مستقبلاً.

لهذه الأسباب وغيرها، وفي ظل تحقق هدفها الرئيس وتجنباً للمزيد من المخاطر والخسائر، لا تبدو تركيا راغبة في قطيعة كاملة مع الإقليم، سيما بعد تنحي مسعود البارزاني وورود إشارات من الإقليم تفيد بالرغبة في تسوية الأزمة مع بغداد وطلب نيجيرفان بارزاني زيارة تركيا والتفاهم معها، وقد قوبلت هذه الإشارات بترحيب متحفظ من أنقرة، التي اعتبرت الخطوات إيجابية لكن غير كافية، وربطت إمكانية استقبال نيجيرفان بالعودة تماماً عن مسار الاستفتاء واعتباره خطوة لم تتم والاستعداد الكامل للحوار مع بغداد.

هنا، يمكن لتركيا ليس فقط إعادة العلاقات مع الإقليم، وهي التي لم تقطع العلاقات الاقتصادية مثلاً، ولكن أيضاً ممارسة دور الوسيط والمساعد في مسار الحوار والتفاوض بين أربيل وبغداد لإنجاز اتفاق يرضي الطرفين، ويكون ضمانة لوحدة أراضي العراق واستقرار المنطقة ككل على المدى البعيد.

إن عدم ثقة تركيا الكاملة باستمرار تعاون طهران وبغداد معها، خصوصاً في ظل استمرار مطالبات الأخيرة بإخلاء معسكر بعشيقة التركي، وعدم اطمئنانها لتزايد النفوذ الإيراني في العراق يدفعها لإعادة النظر في العلاقات مع أربيل على المدى البعيد، لا سيما إذا ما أضفنا إلى ذلك العلاقات الاقتصادية المهمة مع الإقليم وحساسية مواجهة تركيا للعمال الكردستاني في جبال قنديل في الإقليم وقلقها من سيطرة تيار آخر غير الحزب الديمقراطي الكردستاني بما قد يعرض أمنها القومي للخطر.

وعليه، فإن الرغبة التركية في إعادة العلاقات إلى سابق عهدها تبدو موجودة ضمناً ولكن مشروطة برغبة الطرف الآخر وخطوات معينة ينبغي اتخاذها، وهو أمر يمكن توقعه مستقبلاً لكن ليس قريباً جداً، إذ تحتاج فجوة الثقة المتحصلة من مسار الاستفتاء إلى بعض الوقت والخطوات وإجراءات إثبات حسن النوايا، على الأقل من وجهة نظر أنقرة.■

بسبب صمتها حيال المجازر التي تطال المسلمين الروهنجيا..

أكسفورد تسحب «وسام الحرية» من زعيمة ميانمار

سحب مجلس مدينة أكسفورد في بريطانيا، يوم الثلاثاء ٢٨ نوفمبر ٢٠١٧م، جائزة «وسام الحرية»، من زعيمة ميانمار «أونج سان سو تشي».

وأوضح بيان صادر عن مجلس البلدية، أنّ قرار سحب الجائزة من «سو تشي»، جاء بسبب صمتها حيال المجازر التي تطال المسلمين الروهنجيا في إقليم آراكان بميانمار.

وذكر البيان أنّ أعضاء مجلس البلدية صوّتوا الشهر الماضي بالإجماع على قرار سحب الجائزة من «سو تشي»، وأنّ القرار تمّ تنفيذه في يوم ٢٨ نوفمبر الماضي، حسب وكالة «الأناضول».

ونالت «سو تشي» الجائزة عام ١٩٩٧م؛ نظراً لما اُعتبر، آنذاك، «كفاحها الطويل من أجل الديمقراطية»، وكانت «سو تشي» الحائزة على جائزة «نوبل» درست في كلية سانت هيو التابعة لجامعة أكسفورد.

ومنذ ٢٥ أغسطس الماضي، يرتكب جيش ميانمار ومليشيات بوذية متطرفة، جرائم واعتداءات ومجازر وحشية ضد أقلية الروهنجيا المسلمة، في إقليم آراكان، غربي البلاد.

وأسفرت الجرائم المستمرة منذ ذلك الحين عن مقتل الآلاف من الروهنجيا، حسب مصادر محلية ودولية متطابقة، فضلاً عن لجوء قرابة ٨٢٦ ألفاً إلى بنجلاديش، وفق الأمم المتحدة.■

الرحمة العالمية
RAHMA INTERNATIONAL
جمعية الإصلاح الاجتماعي
التميز في العمل الخيري
بعطائكم
بردهم .. دفئاً
تبرع الآن
قيمة السهم
50 د.ك
#سوريا
توزيع إغاثة للاجئين والنازحين السوريين (فحم ، ديزل، دفايات، بطانيات، ملابس شتوية)
1 888 808
حولي ، السالمية ، سلوى ، الفيحاء ، الروضة ، صباح السالم ، القرين ، الصباحية ، الفحيحيل
لولوهايبر الضجيج ، صباح الناصر ، الأندلس ، الصليبيخات ، القصر ، سعد العبدالله
khaironline.net
@khaironline

خواطر اقتصادية من ميلاد الرسول ﷺ

بقلم: د. أشرف دوابه

في صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في عام الفيل، شهدت مكة المكرمة ولادة أفضل الخلق في أشرف بيت من بيوتها، فقد اصطفاه الله من بني هاشم، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفى قريشاً من سائر العرب.

هناك العديد من الجوانب الاقتصادية التي ارتبطت بميلاد الرسول حتى بعثته

مظاهر البركة الاقتصادية للنبي بدت بصورة واضحة منذ نعومة أظفاره مع مرضعته حليمة السعدية

المسلم مطالب بالاعتماد في معيشته على جهده حتى لا يكون لأحد من الناس فضل عليه

في ذكرى هذا الميلاد الكريم تبرز العديد من الجوانب الاقتصادية التي ارتبطت بميلاد الرسول ﷺ حتى بعثته، وسوف نتناول هنا جانبين مهمين؛ أولهما: البركة الاقتصادية، وثانيهما: ترسيخ قيمة العمل والاعتماد على النفس.

أولاً: البركة الاقتصادية:

إذا كان مولد النبي ﷺ بركة للعالمين، فإن مظاهر البركة الاقتصادية لرسول الله ﷺ بدت بصورة واضحة منذ نعومة أظفاره مع مرضعته حليمة بنت ذؤيب السعدية التي لم تجد حيلة إلا أخذه بعد أن امتنعت المرضعات عن ذلك ليتمه، فكان فاتحة خير عليها وعلى أهلها.

وفي هذا تقول: «خرجت من بلدي مع زوجي، وابن صغير لي أرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، ألتمس الرضعاء، في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً، وخرجت على أتان لي قمراء، معنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري.

فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رياً

وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

وقال صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك اربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأناً.

ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته».

ثانياً: ترسيخ قيمة العمل والاعتماد على النفس:

لم يركن النبي ﷺ منذ صغره إلى الاعتماد على غيره، فبعد أن ذاق اليتم ثلاث مرات: يتم الأب وهو في بطن أمه، ويتم الأم وهو ابن خمس سنين، ويتم من تولى كفالته وهو جده عبد المطلب وهو ابن ثماني سنين، وانتقال كفالته لعمه أبي طالب، رأى الحالة الاقتصادية غير المتيسرة لعمه، فعمل ﷺ برعي الغنم لمساعدة عمه، وفي الحديث: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت: فقال: «كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (رواه البخاري).

إن اعتماد النبي على ذاته في الكسب رسالة واضحة بأن الكلمة حتى تخرج من الفم حرة أبية يجب ألا يتحكم في إطعام هذا الفم غير صاحبه، وأن من يكون عالة على غيره لا يمكن أن يكون قراره ناتجاً عن إرادة حقيقية، فالمسلم مطالب بالاعتماد في معيشته على جهده وكدّه، حتى لا يكون لأحد من الناس منة أو فضل يحول بينه وبين الصدع بالحق.

وإذا كان النبي ﷺ لم يتكبر على عمل وعمل برعي الغنم، فإنه بعد ذلك عمل رجل أعمال في مال سيدة أعمال من أشراف وسادات قريش هي السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، حيث بلغها صدق محمد ﷺ وأمانته وكرم أخلاقه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً، ورأت خديجة رضي الله عنها من البركات الاقتصادية في مالها ما لم تجده من قبل، وكان ذلك سبباً في طلبها الزواج من النبي ﷺ.

إن ميلاد النبي ﷺ فرصة لتجديد القلوب بمحبته، وإبراز قيمة الاقتصاد في حياة الأمة، فالأمة التي تهمل إنتاجها ولا تستغل مهارات وقدرات أبنائها، وتعتمد على غيرها في تلبية حاجاتها هي أمة ضائعة ومغيبة، فلا مكان يذكر لاقتصادها، ولا مستقبل مشرقاً ينتظرها.

وما أحوجنا في ذكرى ميلاد النبي ﷺ أن نتمثل الشخصية الاقتصادية الناجحة والمتميزة التي لخصتها السيدة خديجة رضي الله عنها في قولها لرسول الله ﷺ يوم نزول الوحي عليه: «إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق».■

مأثورات اقتصادية

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة» (أخرجه النسائي).■

مفاهيم اقتصادية

المضاربة المطلقة

هي دفع المال إلى من يتجر فيه بجزء من ربحه دون أي قيود، ففيها لا تتقيد المضاربة بزمان ولا مكان ولا عمل، ولا ما يتاجر فيه المضارب، ولا من يتعامل معه، ولا أي قيد من القيود، ومن ثم يكون للمضارب في المضاربة المطلقة حرية التصرف كيفما شاء دون الرجوع لرب المال إلا عند نهاية المُضاربة.■

أخبار اقتصادية

انطلاق أعمال أول بنك إسلامي في المغرب

احتضن المركز الرئيس لبنك أمنية في مدينة الدار البيضاء المغربية حفل الافتتاح الرسمي لانطلاق أعمال هذه المؤسسة المالية بالمغرب وفق المعاملات المصرفية الإسلامية.

ويعتبر بنك أمنية ثمرة شراكة إستراتيجية بين بنك قطر الدولي الإسلامي ومؤسسة القرض العقاري والسياحي المغربية، وقد أنشأ مصرف أمنية ثمانية فروع في أهم مدن المملكة المغربية، وبدأ في استقبال زبائنه ومراجعيه، بحسب «الجزيرة».

ويقدر الخبراء الماليون نسبة المواطنين المغاربة الذين يستهدفهم النظام البنكي الإسلامي بحوالي ٣٥٪ من السكان هم في الأصل غير المنخرطين في النظام المصرفي الحالي.

وكان البنك المركزي المغربي اعتمد في مارس الماضي خمسة أنواع من المعاملات المصرفية الإسلامية في موافقة نهائية على إطلاق التمويل الإسلامي بالبلاد.

وقال البنك في تعميم نشر بالجريدة الرسمية: إنه وافق على خمسة أنواع شائعة من المعاملات المصرفية الإسلامية؛ هي المرابحة والمشاركة والإجارة والمضاربة والسلم.■

افتتحنا في المقال الماضي الحديث عن اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى، وذكرنا أننا سنقتصر في الاستدلال على ما نقول بأقوال المستشرقين من اليهود والمؤرخين الغربيين فحسب، وقدمنا في المقال الماضي المنهج العام الذي سنسير عليه في الدراسة، وبدأنا أولى الحلقات بالتقييم العام المجمل لأوضاع اليهود في ظل الأمة الإسلامية مع أوضاعهم في ظل الأمم الأخرى.

نواصل في هذا العدد، فنرصد سريعاً ماذا قيل عن أوضاع اليهود في مجمل التاريخ الإسلامي، ثم نبدأ بفترة الخلافة الراشدة، فالله المستعان.

اليهود بين أمة الإسلام والأمم الأخرى (٢)

كيف عاش اليهود في ظل الأمة الإسلامية؟

محمد إلهامي
باحث مصري في التاريخ والحضارة الإسلامية

اليهود عبر التاريخ الإسلامي:

يقول الفيلسوف الروسي الشهير «تولستوي»: «من فضائل الدين الإسلامي أنه أوصى خيراً بالمسيحيين واليهود، ولا سيما قساوسة الأولين؛ فقد أمر بحسن معاملتهم ومؤازرتهم، حتى أباح هذا الدين لأتباعه التزوُّج من المسيحيات واليهوديات، مع الترخيص لهن بالبقاء على دينهن، ولا يخفى على أصحاب البصائر النيّرة ما في هذا من التساهل العظيم»[١].

وهذا هو الأصل السائر في التاريخ الإسلامي، وأبرز دليل على هذا بلوغ اليهود المناصب العليا في الدولة الإسلامية في مختلف الأحقاب، وإلى هذا يشير «صموئيل أتينجر» بقوله: «يلاحظ دارسو التاريخ اليهودي في العصور الوسطى أن السلطات حرصت على جباية الجزية من اليهود، وتطبيق القوانين الإسلامية، ولكنها أتاحت لليهود في الوقت نفسه تقلد العديد من المناصب المهمة، فكان حسداي بن شبروط في بلاط الخليفة الأموي عبدالرحمن الثالث (عبد الرحمن الناصر)، وشموئيل هناجيد (إسماعيل بن النغرالة) في غرناطة إبان القرنين العاشر والحادي عشر، على سبيل المثال، من أبرز الشخصيات اليهودية التي عملت في إطار الخلافتين الأموية والأندلسية، وكذلك خدم الإخوة إبراهيم وحيد بني سهل التوستاري لدى الخلفاء الفاطميين في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وفي إطار الخلافة الفاطمية بمصر تقلد اليهود العديد من المناصب المهمة، ومن الملاحظ أن اليهود اندمجوا طيلة الفترة العثمانية في كافة الأجهزة الحكومية»[٢].

ولئن رُصدت فترات اضطهاد أحياناً فذلك إنما كان لفترات قصيرة استثنائية، ثم إنها في عمومها كانت ضمن سياق استبدادي عام ولم تكن مختصة باليهود كأتباع ديانة مخالفة، هذا ما يقرره المستشرق الفرنسي «مارسيل بوازار» حين يقول:

«الإسلام يتراءى أكثر تسامحاً كلما قَوِيَ واشتدّ على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتنص الآية القرآنية التي تمنع الإكراه على اعتناق الدين عن تأكيد لا يتزعزع، وقوة الأُمّة تُوَفّر للمؤمن ألا «يُخيفَ» اليهودي ولا المسيحي، وأن يحترم -بالتالي- شخصهما ودينهما ومؤسساتهما، وينبغي من جهة أخرى الإشارة إلى أن الشعوب الإسلامية بمختلف نزعاتها؛ الدينية أو الفلسفية، قد قاست ما قاساه المعاهدون حين بلغ جو التعصب ذروته (في السلطة)، إن لم تكن قاست أكثر مما قاسوا، وتنقل الكتب مثلاً أن أحد المسلمين لم ينج من القتل على أيدي زمرة تخالفه الرأي إلا بعد أن ادعى أنه ذمي»[٣].

ويزيد المعنى وضوحاً المستشرقُ الإيطاليُّ الشهير «فرانشسكو جابرييلي» عندما يقارن بين الإسلام والمسيحية بقوله: «إننا يجب أن نذكر دائماً أن الإسلام أضفى على «عقائد أهل الكتاب» -أي المسيحية واليهودية- مكانة خاصة يحميها الشرع، وإن تكن ذات مرتبة أدنى في الدولة، ولم يَدُم التزمت

والاضطهاد فترات طويلة إلا في أوقات الشدّة، وعدم الشعور بالأمان، أما قانون المسيحية فليس فيه أي مكان لأي دين آخر؛ لذا فقد انتقل بسرعة وبتطور منطقي، عندما انتصر على الإسلام إلى التعصب والاضطهاد»[٤].

اليهود في ظل الخلافة الراشدة:

بدأت الفتوحات في عصر الخلافة الراشدة، تلك الفتوحات التي كانت إنقاذاً لليهود في البلدان المفتوحة من الاضطهاد المنهجي المتكرر، يقول مؤرخ الحضارة «ول ديورانت»: «كان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين، إلا أنهم في عهدهم قد فُرضت عليهم عدة قيود ولاقوا شيئاً من الاضطهاد من حين إلى حين، غير أنهم مع هذا كانوا يُعاملون على قدم المساواة مع المسيحيين، وأصبحوا مرة أخرى يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وأثروا كثيراً في ظل الإسلام وفي آسيا، ومصر، وإسبانيا، كما لم يثروا من قبل تحت حكم المسيحيين»[٥].

وهم لم يرحبوا فقط بل ساعدوا في الفتوح كما يقرر المستشرق البريطاني الخبير «توماس أرنولد»: «وكان من أثر هذه الاضطهادات أن رَحّب اليهود بالعرب الغزاة وعَدُّوهم مُخَلّصين لهم مما حلّ بهم من المظالم، فساعدوهم على فتح أبواب المدن، كما استعان بهم الفاتحون في حماية المدن التي وقعت بأيديهم»[٦].

بل لقد منح الفتح الإسلامي لليهود أملاً جديداً في الحياة كما تقول الباحثة البريطانية في مقارنة الأديان «كارين أرمسترونج»: «فقد كان الأباطرة البيزنطيون قد جرّموا الديانة اليهودية، كما أوشك هرقل على إجبار اليهود على أن يُعَمّدوا مسيحيين، لذا كان اليهود على استعداد لمؤازرة المسلمين كما سبق لهم أن آزروا الفرس، خاصة أن عقيدة المسلمين التوحيدية كانت أكثر قرباً لليهودية منها للمسيحية، كما أن المسلمين لم يحرروهم فقط من ظلم بيزنطة، لكنهم أيضاً منحوهم حق الإقامة الدائمة في المدينة المقدسة.

ولا يثير الدهشة إذن أن يتسبب هذا التغيير في إلهام اليهود ببعض الأحلام الرؤياوية، خاصة أن المسلمين حاولوا تطهير المعبد، وأصبح هناك تساؤل عما إذا كان ذلك يعني التمهيد لتشييد المعبد النهائي الذي سيقيمه المسيح المنتظر.

وهكذا ظهرت قصيدة عبرية قرب نهاية القرن السابع الميلادي ترحب بالعرب المبشرين بالمسيح المنتظر وتترقب، آملة أن يجتمع شمل يهود الشتات، وأن يُعاد بناء المعبد، وحينما لم يصل المسيح المنتظر، استمرت نظرة اليهود الراضية عن الحكم الإسلامي في أورشليم، ففي خطاب كتبه حاخامات أورشليم في القرن الحادي عشر الميلادي، تذكر هؤلاء الرحمة التي أظهرها الإله لشعبه حين سمح لـ«مملكة إسماعيل» أن تفتح فلسطين وعبروا عن غبطتهم لوصول المسلمين إلى أورشليم»[٧].

وهكذا لم يكن الأمر مجرد التقاء أغراض سياسية ثم ينقلب الفاتح إلى باطش، بل على العكس كما تقرر المستشرقة الألمانية «زيجريد هونكه»: «فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي بـ«الجبر»، وإنما بسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصراني أن يظلّ نصرانياً، ولليهودي أن يظلّ يهودياً كما كانوا من قبل، ولم يمنعهم أحدٌ أن يُؤَدُّوا شعائر دينهم، ولم يكن أحد ليُنزل أذى أو ضرراً بأحبارهم أو قسّاوستهم ومراجعهم، وبِيَعِهم وصوامعهم وكنائسهم»[٨].

في المقال القادم إن شاء الله تعالى نستعرض أحوال اليهود في ظل الأحقاب الإسلامية: عصر الدولة الأموية ثم عصر الدولة العباسية.■

الهوامش

(١) تولستوي، حِكَم النبي محمد، دراسة وتقديم: د. محمود النجيري، ط١ (الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٨م)، ص٤٣، ٤٤.

(٢) صموئيل أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٩، ٥٠.

(٣) مارسيل بوازار، إنسانية الإسلام، ترجمة: د. عفيف دمشقية، ط١ (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٠م)، ص٢٠٢.

(٤) فرانشسكو جابرييلي، الإسلام في عالم البحر المتوسط، ضمن «تراث الإسلام»، بإشراف: جوزيف شاخت، وكليفورد بوزوروث، ترجمة: د. محمد زهير السمهوري وآخرون، سلسلة عالم المعرفة ١١ (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٧م)، ص١١٤.

(٥) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: مجموعة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م)، ١٣/١٣١.

(٦) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخران، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٠)، ص١٥٥.

(٧) كارين أرمسترونج، القدس: مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة: د. فاطمة نصر ود. محمد عناني، (القاهرة: سطور، ١٩٩٨م)، ص٣٩٤.

(٨) زيجريد هونكه، الله ليس كذلك، ترجمة د. غريب محمد غريب، ط٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦)، ص٤١.

الفتح الإسلامي منحهم أملاً جديداً بالحياة في مواجهة البيزنطيين الذين جرموا ديانتهم

ظهرت قصيدة عبرية في القرن السابع الميلادي ترحب بالعرب المبشرين بالمسيح المنتظر وتترقب جمع شملهم

زيجريد هونكه: هدف الفتوحات العربية لم يكن نشر الإسلام بالجبر حيث ظل أصحاب الديانات على دياناتهم

بلغوا المناصب العليا في أحقاب الدولة الإسلامية وفي العصر العثماني اندمجوا في الأجهزة الحكومية

فترات اضطهادهم كانت ضمن سياق استبدادي عام ولم تكن مختصة بهم كأتباع ديانة

حينما نقول هذا المصطلح المكوَّن من مركب إضافي «مقاصد الشريعة»، فإنه لا يعني إلا شيئاً واحداً حصراً، هو أن لفظ المقاصد مضاف للشريعة، ولفظ الشريعة مضاف للمقاصد، فالمقاصد مستقاة من الشريعة ومأخوذة منها عبر مسالكها المعتبرة عند أهلها، والشريعة لا تُفهم إلا في ضوء هذه المقاصد؛ فمن جاءنا بمقصد نقول له: «من أين لك هذا؟ ومن أي النصوص أتيت به؟»، ومن فهم الشريعة بغير مقاصدها نقول له: «لقد عطلتَ الشريعة عن مسايرة الواقع واستيعاب مستجداته، وحَسَرْتَ سلطانها عن أن يُبسَطَ على الواقع بنوازله والحياةِ بتغيراتها».

بين مقاصد الشريعة وأحكامها.. تعارض أم تكامل؟

بقلم: د. وصفي عاشور أبو زيد
دكتوراه في مقاصد الشريعة

هناك من يظن أن النصوص الشرعية مُقيِّدة لحركة الإنسان، ولا بد من الانطلاق من أرضية المصالح والمقاصد – في نظرهم طبعاً – لا من النصوص؛ كي نحقق مصالح الإنسان، ونعزز عمارة الحياة، ونقوم بحاجات الواقع، ونَفي بمتطلبات العصر!

والواقع أن هؤلاء لم يفهموا الشريعة ولم يعرفوا مقاصدها حق المعرفة، ولم يدرسوها أو يشموا رائحتها؛ فالشريعة نزلت أصلاً لمصالح الناس في المعاش والمعاد جميعاً، كما أطبق على ذلك علماء الأمة على مر العصور، وما جاءت النصوص إلا لذلك، ولذلك فحسب، ومن طالع كتاب «القواعد الكبرى» للعز بن عبدالسلام، وغيره، يقف على هذا بكل وضوح؛ حيث أقام الشريعة كلها على مبدأ وحيد؛ هو «جلب المصالح ودفع المفاسد»، ومن تأمل التشريعات والأحكام والنصوص جميعاً لم يجد نصاً واحداً نزل إلا لجلب منفعة أو دفع مضرة.

كما أن المقاصد ليست شيئاً خارجاً عن ماهية الشريعة، أو مستوردا من خارج نصوصها؛ وبناء على ذلك فإن المقاصد التي ستحررهم من النصوص –كما يرون– هي مقاصد وهمية لم تستثمر من مسالكها المعتبرة، وإنما جاءت من رغبتهم الجامحة في اتباع الهوى، والانسلاخ من التكليفات الشرعية، والمروق من النصوص كما يمرق السهم من الرمية.

الخوف من المقاصد

وهناك فريق آخر يرى أن فكرة المقاصد نفسها باب واسع للعلمانية، وما هي إلا شعار للإطاحة بنصوص الشريعة، ولافتة براقة للنفوذ منها إلى تفريغ الدين من مضمونه، والشريعة من محتواها، ولا تبقى هنالك إلا عناوين بلا مضامين، وأشكال بلا موضوعات، ومن ثم لا داعي لهذا العلم، ولا ضرورة لوجوده، فالأمة – في نظرهم – فهمت شريعتها وعملت بها قبل أن يوجد ما يسمى بـ«علم المقاصد»!

وهؤلاء –في الواقع– لا يفهمون الشريعة كذلك ولا يفهمون مقاصدها، فهم لا يدركون أن الشريعة نفسها نصّتْ على مقاصدها العليا والعامة والخاصة والجزئية، ولا يليق بالله تعالى الذي سمى نفسه «الحكيم» أن يخلق الخلق عبثاً، ولا أن يشرع الشرع بلا غاية، وإنما خلق الخلق وأنزل الشرع لحكم وغايات ابتنى عليها الخلق والأمر: (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾) (الأعراف).

كما فات هؤلاء أن المقاصد بنت النصوص، ولا يمكن أن يكون هناك مقصد من خارج النصوص، ومن ثم لا تعارض بين نص ومقصد، ولا بين مقصد ونص؛ لأن كليهما من مصدر واحد ومن مشكاة واحدة، إنه الله تبارك وتعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴿٨٢﴾) (النساء).

طريق الأمن والوسطية

ولكي يطمئن الفريقان فلا بد من أن يدرس كلاهما الشريعة الإسلامية ومقاصدها دراسة معمقة توقف كلا منهما على حقيقة الشريعة وحقيقة مقاصدها، وليس ما يسمعوه حولهم أو من بعض من لا فقه له بالشريعة؛ فضلاً عن مقاصدها.

والذي يقفنا على الأمن المناقض للخوف سواء أكان منبعه النص أم المقصد، هو:

أولاً: معرفة –بل العلم والإيمان– أن الشريعة الإسلامية إنما نزلت لمصالح الناس، ولا يوجد نص أبداً لا صحيح ولا صريح ولا غير صريح إلا وهو يتغيا مصالح البشر في الدنيا والآخرة، وهذا القول لم يجادل فيه الظاهرية ولا بعض المعتزلة الذين أنكروا التعليل والتقصيد والقياس، لكنهم أثبتوا مصلحية الشريعة الإسلامية، وأنها نزلت لتحقيق مصالح الناس.

قال الإمام الآمدي: «فالإجماع إذاً منعقد على امتناع خلو الأحكام الشرعية عن الحِكَم، وسواء ظهرت لنا أم لم تظهر»[1]، وقال: «حال الشارع أنه لا يرد بالحكم خلياً عن الحكمة؛ إذ الأحكام إنما شرعت لمصالح العبيد، وليس ذلك بطريق الوجوب بل بالنظر إلى جري العادة المألوفة من شرع الأحكام»[2].

وتحت عنوان: «في تحقيق معنى المقصود المطلوب من شرع الحكم»، قال: «المقصود من شرع الحكم إما جلب مصلحة أو دفع مضرة أو مجموع الأمرين بالنسبة إلى العبد»[3].

وقال العز بن عبدالسلام: «والشريعة كلها مصالح؛ إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح؛ فإذا سمعت الله يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)؛ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر»[4].

وقال: «ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسُّنة لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقّه وجلّه، وزجر عن كل شر دقّه وجلّه؛ فإن الخير يُعبّر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح»[5].

وفي كلام هذين العالمين الأصوليين الكبيرين كفاية، وإلا لو تتبعنا أقوال العلماء لما كفانا ألف موضع، وكلام العلماء كافة في هذا المعنى الأكبر لا يختلف عن ذلك كثيراً.

ثانياً: العلم بأن المقاصد بنت النصوص ومستقاة ومستقراة منها من خلال مسالك قرّرها الأصوليون أغلبها -أو كلها- نصوصي أو يدور حول النصوص، و«يعتبر الكشف عن مقصد الشارع خطوة مهمة ومحورية يتوقف عليها تسديد الاجتهاد والتنزيل؛ فإذا كان التسديد فيهما يتوقف -في كثير من جوانبه- على معرفة مقاصد الأحكام، فإن معرفة مسالك الكشف عنها أمر سابق على ممارسة الاجتهاد، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[6].

فمن المسالك أو طرق الكشف عن المقصد: الاستقراء، وهو استقراء للنصوص، ومنه: مجرد الأمر والنهي، وهو في النصوص، ومنه: العلل المذكورة في الأوامر والنواهي، وهي منصوصة كذلك، ومنه: التأمل في اختلاف الفقهاء، وهم يختلفون في فهمهم للنصوص، ومنه: الاستنباط، وهو قائم على النصوص والنظر فيها، ومنه: مفهوم النص ومنطوقه ومعقوله، ومنه: سياق النص والقرائن المحتفة به.. إلخ، فأين الخوف من المقاصد وأهلها؟

هناك من يظن أن النصوص الشرعية مُقيِّدة لحركة الإنسان ويجب الانطلاق من المصالح والمقاصد لا النصوص

.. وهناك من يرى أن فكرة المقاصد نفسها باب واسع للعلمانية وأنها شعار للإطاحة بنصوص الشريعة

المقاصد بنت النصوص وليس هناك مقصد من خارج النصوص ومن ثم لا تعارض بينهما

وهل هي بذلك تؤدي إلى هدم النصوص أو تكون بوابة للعلمانية وهي مأخوذة أساساً من النصوص ومستقاة منها؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!

ثالثاً: العلم بأن هناك ضوابط لاعتبار المقاصد، فليس كل مقصد نسمع به أو نقرؤه يعد معتبراً بمجرد أن فلاناً قال به، فلا بد من تمريره -كما يفعل الأصوليون وعلماء المقاصد- على ما يعرف في هذا العلم بـ«ضوابط اعتبار المقصد»، فإن تحقق بهذه الضوابط فبها ونعمت، وإلا فلا يُلزمنا أحد بما لم يُلزمنا به الشرع الشريف.

والواقع أن الحديث عن المقاصد يظل بلا أثر في الاستدلال الفقهي، حتى توضع له ضوابط تضبطه وتضبط عمله، وتبين متى يكون معتبراً ومتى لا يكون كذلك.

ومن ناحية أخرى، فإن ضبط المقاصد يُمكّن من تقييم الأحكام والاجتهادات على اليقين أو الظن القريب لليقين، فإن الشريعة الإسلامية لا تراعي الأوهام أو التخيلات، بل توجب تركها والبعد عنها؛ ولذلك فلا يصلح المقصد الموهوم لضبط الاجتهاد، وهو ما يوفره عدم تحققه بضوابطه.

ومن ناحية ثالثة، فإن الحديث عن ضبط المقصد بضوابطه المعتبرة يؤهل المقصد لأن يقوم بوظائفه الأصولية والفقهية وغيرها[7].

ومن هذه الضوابط: أن يُستقى المقصد من مسالكه المقررة، وأن يكون المقصد ظاهراً، ومنضبطاً، ومطرداً، وألا يتعارض مع مقصد أعلى منه، وألا يعود على غيره بالإبطال.. إلخ.

والحق أنه عند تدقيق النظر لا يوجد تعارض بين مقصد ونص أو بين مقصد ومقصد إلا في رأس الفقيه أو في عدم صحة النص، فالمنطق الصحيح والفهم الصحيح والفقه الراسخ يحول بين هذا التعارض كله إن ظهر، ومع هذا الفهم والفقه والرسوخ والاستيعاب والإدراك سيتبدد أي تعارض ظاهر، ونصل لمنهج سديد في التعامل مع التزاحم، ويتم تشغيل المقاصد بكل مراتبها وتفعيلها، ولن يضرب بعضها بعضاً، أو يلغي جزئيُّها كليّها، أو يعودَ بعضُها على بعض بالإبطال.

وبناء على ذلك؛ فلا خوف من النصوص، كما أنه لا خوف من المقاصد؛ لأن كليهما من مصدر واحد، ولأن النصوص لا تُفهم إلا في ضوء مقاصدها، والمقاصد لا تُستقى إلا من النصوص، ولا يكون المقاصديُّ إلا نصوصياً، ولا النصوصيُّ إلا مقاصدياً؛ ومن ثم حين نقول مقاصد الشريعة فليس هذا بمعزل عن أحكام الشريعة، ولا أن المقاصد كلمة لا تتضمن أحكامها، وإنما المقاصد تعبر عن النصوص والأحكام، والنصوص تُثمر المقاصد، وكلاهما يُصدّق بعضُه بعضاً، ولا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأنهما يتكاملان ولا يتناقضان، ويتعاضدان ولا يتعارضان.■

الهوامش

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ٢/٢١٠. علي بن محمد الآمدي أبو الحسن. تحقيق: د. سيد الجميلي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ.
(٢) الإحكام: ٣/٢٨٦.
(٣) الإحكام: ٣/٢٩٦.
(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ١/٩. تحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي. دار المعارف. بيروت. لبنان.
(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٢/ ١٦٠.
(٦) المقاصد الجزئية: ٢٨٥. د. وصفي عاشور أبو زيد. دار المقاصد القاهرة. ٢٠١٥م.
(٧) المقاصد الجزئية: ص ٣٨٩.

«الشيخوخة» في القرن الحادي والعشرين

لندن: د. أحمد عيسى

يعيش الناس أطول، وتزداد نسبتهم في العالم، فهل سيضفي ذلك على العالم خبرة وحكمة، أم خرفاً وعجزاً؟ هل يتيح العيش لسنوات أطول فرصاً لكبار السن لمتابعة أنشطة جديدة، ومواصلة التعلم، والعمل على تقديم إسهامات قيّمة للأسرة والمجتمع، أم سيؤدي إلى إساءة المعاملة والتمييز ضدهم؟

حين يوهن العظم مني ويشتعل الرأس شيباً؛ هل سأجد من يحترمني ويوقرني، ويكرم شيبتي ويسد نقصي؟ هل يكون حولي من يأخذ بيدي الضعيفة، ويقبل جبهتي المجعدة؟ أم تراني سأُهمَل كقطعة الأثاث البالية، أو سأُرمَى كحبة الفاكهة الفاسدة؟ هل سيكون حولي أولادي وأحفادي وأولاد أحفادي، يمسحون دمعتي، ويرفعون رأسي، ويقدرون خبرتي، ويخففون مرضي ويؤنسون وحدتي؟

ستشهد نسبة سكان العالم الذين تتجاوز أعمارهم ٦٠ عاماً، في الفترة بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٥٠م، زيادة بنسبة الضعف، أي من ١١ - ٢٢٪، ومن المتوقع، كما أعلنت منظمة الصحة العالمية[1]، على مدى الفترة ذاتها، أن يرتفع العدد المطلق للأشخاص البالغين من العمر ٦٠ عاماً فما فوق إلى ملياري نسمة، وسيشهد العالم، أكثر من أي وقت مضى، مزيداً من الأشخاص الذين يعيشون حتى يبلغوا سن الثمانين أو التسعين، فالبالغون من العمر ٨٠ عاماً أو أكثر سيزدادون بنسبة تناهز أربعة أضعاف، مقارنة بعام ٢٠٠٠م، ليبلغ ٣٩٥ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٥٠م، ولا توجد أي سابقة في التاريخ عن وجود بالغين في متوسط العمر أو مسنين لهم آباء على قيد الحياة، كما هو اليوم، وسيعرف مزيد من الأطفال أجدادهم وحتى آباء أجدادهم، لا سيما أمهات جداتهم؛ ذلك أنّ النساء يعشن، في المتوسط، ٦ - ٨ أعوام أكثر من الرجال.

أمراض المسنين

يحمل المسنّون على أكتافهم في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل عبء أمراض أثقل ممّا يحمله أقرانهم في بلدان العالم الغني، وأمراض القلب والسكتة الدماغية وأمراض الرئة المزمنة هي من أكبر الأمراض التي تحصد أرواح المسنّين بصرف النظر عن المكان الذي يعيشون فيه، أما

أعظم أسباب إصابتهم بالعجز فهي العاهات الحسية وآلام الظهر والرقبة ومرض الانسداد الرئوي المزمن (وخصوصاً في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل)، والاضطرابات الناجمة عن الاكتئاب وحالات السقوط وداء السكري والخرف والتهاب المفاصل.

مخاطر الزهايمر

سيشهد العالم زيادة هائلة في عدد المصابين بأشكال الخرف، مثل داء الزهايمر، لأنّ الناس باتوا يعمّرون مدة أطول تزيد مخاطر الإصابة بأشكال الخرف، والتقديرات تشير إلى أنّ ٢٥ - ٣٠٪ ممّن يبلغون ٨٥ عاماً أو أكثر يعانون من شكل من أشكال تدهور القدرات المعرفية، ولا يستفيد المسنون المصابون بالخرف في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، عموماً، من خدمات الرعاية الصحية الطويلة الأجل، ولا تتلقى أسر هؤلاء الأشخاص الدعم المالي اللازم من السلطات العمومية لمساعدتهم على توفير الرعاية المناسبة في البيت.

كسر الصور النمطية

في القرن الحادي والعشرين لا بدّ للمجتمع من كسر الصور النمطية الخاصة بالمسنين، واستحداث نماذج جديدة في مجال الشيخوخة حتى يمكن لكل فرد الاستفادة من المجتمعات المحلية وأماكن العمل والمجتمعات التي تشجّع مشاركة المسنين على نحو نشط وظاهر، ويتيح العمر لسنوات أطول فرصاً لمتابعة أنشطة جديدة، على أن نطاق هذه الفرص يعتمد بشكل كبير على عامل الصحة، وترتبط

من المتوقع أن يرتفع عدد البالغين من العمر ٦٠ عاماً فما فوق إلى مليارَي نسمة في الفترة بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٥٠م

الشيخوخة البيولوجية ارتباطاً فضفاضاً بعمر الشخص المحسوب بالسنوات، إذ قد يتمتع بعض المسنّين ممّن تبلغ أعمارهم ٨٠ عاماً بقدرات بدنية وعقلية مماثلة لتلك التي يتمتع بها الكثيرون من الشباب، فيما يشهد آخرون من المسنّين تدهوراً في تلك القدرات عند بلوغهم عمراً أصغر من ذلك بكثير.

التمييز ضد المسنّين

قد يكون الآن التمييز ضد المسنّين أكثر انتشاراً من التمييز على أساس الجنس أو العنصرية، ويخلّف التمييز ضد أي شخص على أساس سنّه عواقب وخيمة على المسنّين والمجتمعات بشكل عام، ويتخذ هذا التمييز أشكالاً عديدة، منها المواقف المتحيزة أو الممارسات التمييزية أو السياسات التي تديم معتقدات تمييزية ضد المسنّين، وبمقدور هذا التمييز أن يعيق عملية وضع السياسات السليمة، ويقوّض بشكل كبير نوعية ما يحصل عليه المسنّون من خدمات الرعاية الصحية والاجتماعية.

الرعاية والإنفاق

ومع أنه غالباً ما يُنظر إلى نفقات رعاية المسنّين صحياً واجتماعياً على أنها تكاليف يتكبدها المجتمع، فإنه ينبغي أن تُفهم على أنها استثمارات موظفة في مجال إتاحة الفرصة أمام المسنّين، وتمكينهم من مواصلة تقديم الكثير من الإسهامات الإيجابية، ومعظم النظم الصحية الموجودة في أنحاء العالم أجمع قاصرة من حيث الاستعداد لتلبية احتياجات المسنّين الذين يعانون غالباً من عدة حالات صحية مزمنة أو من متلازمات الشيخوخة، إذ يجب أن تكون تلك النظم قادرة على تقديم خدمات رعاية متكاملة تتمحور حول المسنّين وتركز على صون قدرات الفرد لدى تقدمه في السن، وكذلك إنشاء شبكة أمان طويلة الأمد للفئات الأكثر ضعفاً لإقامة نظام أوسع نطاقاً يعظّم قدرة المسنّ الوظيفية، ويصون استقلاليته وكرامته، فمن المُتوقع بحلول عام ٢٠٥٠م أن يتضاعف عدد المسنّين في البلدان النامية ممّن يحتاجون إلى المساعدة على أدائهم لأنشطتهم في حياتهم اليومية إلى أربعة أمثال.

التحوّل الديمجرافي

وهناك صلة وثيقة بين تشيّخ السكان والتنمية الاقتصادية، وفي حين كانت

تشير التقديرات إلى أنّ ٢٥ - ٣٠ % ممّن يبلغون ٨٥ عاماً أو أكثر يعانون من تدهور القدرات المعرفية

المناطق المتقدمة حالياً مثل أوروبا واليابان وأمريكا الشمالية أوّل من شهد هذا التحوّل الديمجرافي، فإنّ البلدان الأقلّ تقدماً منها هي التي تشهد الآن أكبر تحوّل ديمجرافي؛ فبحلول عام ٢٠٥٠م سيعيش ٨٠٪ من المسنين فيما يُعرف حالياً بالبلدان المنخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل، والأهمّ من ذلك هو أنّ تشيّخ السكان في تلك البلدان يحدث بوتيرة أسرع كثيراً من الوتيرة التي تم بها في بلدان العالم المتقدمة حالياً، وهذا يعني أنّ الفرصة أوجز للاستعداد لهذه الظاهرة.

أخطار إساءة المعاملة

لقد شهد ٤ - ٦٪ من المسنين في البلدان المتقدمة شكلاً من أشكال إساءة المعاملة في البيت، ومن الأفعال المسيئة التي تُسجّل في المؤسسات تقييد المرضى جسدياً، وحرمانهم من الكرامة (بتركهم، مثلاً، في ملابس متسخة)، والنزوع، عن قصد، إلى عدم توفير الرعاية الكاملة لهم (كتركهم حتى يُصابون بقروح الضغط)، وتؤدي إساءة المعاملة إلى تعرّضهم لإصابات جسدية وخيمة وآثار نفسية طويلة الأجل.

جرائم بحق المسنين

يمثّل إيذاء المسنين بأي عمل، أو امتناع عن اتخاذ الإجراء المناسب، يحدث ضمن أي علاقة يُتوقع أن تسودها الثقة ممّا يتسبّب في إلحاق ضرر أو كرب بالشخص المسن، ويشكّل هذا النوع من العنف انتهاكاً لحقوق الإنسان، ويشمل الإيذاء الجسدي والجنسي والنفسي والعاطفي والمالي والمادي، والهجر، والإهمال،

وفقدان الكرامة والاحترام بشكل كبير، وغالباً ما يبدي المسنون بعض الخوف في إبلاغ أسرهم أو أصدقائهم أو السلطات بما يتعرّضون له من ضروب الإيذاء، من أسباب ذلك: تصوير الشخص المسن كشخص ضعيف وهشّ لا يمكنه الاعتماد على نفسه، وتآكل الروابط القائمة بين أجيال الأسرة، وهضم حق الميراث والحقوق المالية، وكذلك هجرة الشباب وتركهم آباءهم المسنين وحدهم في المجتمعات التي كان الأبناء يعتنون فيها، تقليدياً، بآبائهم المسنين، وانعدام الأموال اللازمة لدفع تكاليف الرعاية.

المشكلة في المؤسسات

ومن الملاحظ أيضاً شحّ البيانات الخاصة بحجم المشكلة في مؤسسات مثل المستشفيات أو دور رعاية المسنين أو غيرها من مرافق الرعاية الطويلة الأجل، ولكن يرجح أن المشكلة مرتفعة، يرجع هذا إلى إسهام السياسات في خدمة مصالح المؤسسة بدلاً من مصالح المسنين المقيمين فيها، وتدني معايير الرعاية الصحية وخدمات الرعاية العامة ومرافق الرعاية الخاصة بالمسنين، ونقص تدريب العاملين وانخفاض أجورهم وزيادة أعبائهم، وقد بدا ذلك من مسح أجري بين العاملين في دور رعاية المسنين في الولايات المتحدة الأمريكية: شهد ٣٦٪ منهم، العام السابق عن المسح، حادثاً واحداً على الأقل من حوادث الإيذاء الجسدي الموجه ضدّ المرضى المسنين؛ ارتكب ١٠٪ منهم عملاً واحداً على الأقل من أعمال الإيذاء الجنسي الموجهة ضدّ المرضى المسنين؛ اعترف ٤٠٪ منهم أنّهم يمارسون الإيذاء النفسي تجاه المرضى[٢].

عناية الإسلام للشيخ الكبير

في الإسلام نجد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرَنا، ويرحَم صغيرَنا» (رواه أحمد وصححه ابن حبان)، وقد جعل الإسلام احترام الكبير نوعاً من أنواع إجلال الله وتعظيمه، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ من إجلال الله إكرامَ ذي الشّيبة من المسلمين، وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وذي السلطان المقسط» (رواه أبو داود، وحسّنه الألباني).

ويقول الشيخ الشنقيطي في تفسير آية سورة «النحل» (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾) (النحل): يبين الله سبحانه أن من الناس من يموت قبل بلوغ أرذل العمر، ومنهم من يعمر حتى يرد إلى أرذل العمر؛ وأرذل العمر آخره الذي تفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، وجاء في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: «أعوذ بالله من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات».

وعن علي رضي الله عنه؛ أن أرذل العمر ٧٥ سنة، وعن قتادة ٩٠ سنة، والظاهر أنه لا تحديد له بالسنين، وإنما هو باعتبار تفاوت حال الأشخاص، فقد يكون ابن ٧٥ أضعف بدناً وعقلاً، وأشد خرفاً من آخر ابن ٩٠ سنة، وقال بعض العلماء: إن العلماء العاملين لا ينالهم هذا الخرف وضياع العلم والعقل من شدة الكبر، ويستروح لهذا المعنى من بعض التفسيرات في قوله: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (التين)[٣].

لسنا في الوطن العربي والإسلامي ببعيدين عن هذه الأرقام المزوجة بالألم، وإن كان من استعداد لها من الشباب، مع رعاية الكبار، فهو أن يتذكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك..»؛ ليسارعوا للعمل الصالح، أما المجتمعات والحكومات فعليهم ألا يهمشوا الكبار ويوفروا لهم سبل الرعاية، ففي بريطانيا مثلاً يقدم الدواء بالمجان لمن بلغ الستين مهما كان دخله، أما

الإسلام جعل احترام الكبير نوعاً من أنواع إجلال الله وتعظيمه

بعض المسنّين ممّن تبلغ أعمارهم ٨٠ عاماً قد يتمتعون بقدرات بدنية وعقلية مماثلة لتلك التي يتمتع بها الكثيرون من الشباب

نحن الشيوخ فلنبدأ حياة جديدة بعد التقاعد يملؤها، على قدر الإمكان، العمل والنشاط والعبادة واستثمار تجارب الحياة وخبرة العمر، ونبشرهم بحديث رواه الترمذي بإسناد حسن صحيح بأن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله..».■

الهوامش

(١) التقرير العالمي حول التشيخ والصحة، منظمة الصحة العالمية ٢٠١٥م.
http://www.who.int/ageing/publications/world-/ar/٢٠١٥-report

(٢) اليوم العالمي للتوعية بشأن إساءة معاملة المسنين، الأمم المتحدة ٢٠١٢م.
http://www.un.org/ar/events/elderabuse/background.shtml

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

أنت وسيلتك لتحقيق النجاح

أنت وحدك؛ ولا أحد غيرك؛ وسيلتك لتحقيق النجاح، فأنت أساس النهضة، وأنت أساس الرقي، وأنت فقط من يستطيع أن يصنع التغيير.

قد تقول: لماذا أنا؟ ماذا أملك؟ ماذا أستطيع أن أقدم؟ وأقول لك أولاً وقبل كل شيء:

يكفيك أن الله شرفك بأن جعلك من بني آدم، فأنت بذلك أحد أهم معجزات الله في الكون، وتذكر دائماً مع كل نفس وكل نبضة أن جسدك كأجساد كل البشر جزء من إعجاز الله في الخلق، واشكر الرحمن على عظيم نعمه.

جهان وريع
أستاذة التعليم الثانوي بالمغرب

ولا تقف معجزتك عند هذا الجسم المعجزة، فالإنسانية ليست جسداً يميزك عن غيرك من الدواب، بل عليك أن تؤمن أن الإنسان أكثر من مجرد جسم يأكل ويشرب ويتلذذ بالملذات - مهما بلغ إعجاز هذا الجسم وبديع صنعه - وأن الجسم ما هو إلا غلاف يحتوي على جانب مهم من البناء الإنساني أعظم منه بكثير، ويتميز به البشر عن سائر المخلوقات؛ هو جانب الذات والروح، وهذا الجانب الروحي منك أيها الإنسان هو أساس وجودك وسر إنسانيتك، وبقدر سموه تسمو على غرائزك، وبارتقائه ترتقي فوق نفسك الأمارة بالسوء، وبما يمنحك من طاقات تتغير حياتك كلها، كيف لا وهو نفخة من روح الله عز وجل فيك.

واعلم أن الإنسان إذا صلح أصلح ما حوله، وإذا فسد أفسد ما حوله، وأنه وحده من يستطيع أن يقاوم ما يحب ويتحمل ما يكره، فتترفع به إنسانيته عن مستوى البهائم، ويرقى به عقله للسعي من أجل تطوير حاله، وترشده روحه إلى طريق الهدى واليقين، فدع الإنسانية تتمثل في كل حركاتك وسكناتك وكن إنساناً بحق.

ولكن هل يعني ذلك أن بشريتك تكفيك وعن غيرها تغنيك؟ وهل كل الناس قادرون على صنع التغيير والمضي في طريق التطوير لمجرد أنهم بشر؟

بالتأكيد لا؛ فهنا تتجلى عظمة الإنسان الحقيقي! وحينما أدعوك إلى أن تكون إنساناً، فإني أدعوك لأن تترفع بروحك عن عالم الماديات السطحي وترقى بجانبك الذاتي إلى مستوى الإنسانية العظيم.

الجسم غلاف يحتوي على جانب مهم من البناء الإنساني أعظم منه بكثير وهو الروح

اكتشف كنوزك المدفونة

ثانياً: نعم أنت إنسان كغيرك من بني البشر، ولكنك تختلف عنهم جميعاً في كونك أنت ولست أحداً آخر، فابتسم بكل ثقة وأخبر نفسك متى ضعفت: أنا مميز.

فقط حاول أن تكتشف الكنوز المدفونة في أعماقك والطاقات الكامنة داخلها؛ لأنها سبيلك لبلوغ كل غاياتك، ولا تنشغل عنها بانتظار المدد الخارجي ويد العون القوية التي ستقلب حياتك بضربة من السحر وتضعك بين الناجحين، وتأمل معي في هذه القصة لعلك تدرك كم يغفل كثير منا عن البحث فيما يملكون والجري وراء سراب الأوهام التي لن تزيدهم إلا فشلاً:

يروى أن مزارعاً ناجحاً عمل في مزرعته بجدّ ونشاط حتى صارت تدرُّ عليه ربحاً جيداً، ثم انتشرت إشاعات تقول: إن كثيراً من الناس وجدوا بعض الألماس في حقول بعيدة منه فحققوا بها غنى هائلاً، وهكذا تحمّسَ بدوره لتحقيق الثروة السريعة فباع حقلَه واشترى حقلاً قيل له: إنه وجدت كميات كبيرة من الألماس في حقول مجاورة له، وظل يبحث ويبحث، حتى قضى في البحث أكثر من عشر سنوات دون فائدة، وخسر في النهاية كل شيء، فيئس من حياته، وأخيراً ألقى بنفسه في البحر، أمّا المزارع الجديد الذي كان قد اشترى مزرعة هذا الرجل، فقد بدأ في رعاية هذه المزرعة من جديد، وأثناء ذلك وجد ألماسةً في حَقْله، ثم وجد ثانيةً وثالثةً، وبالبحث تبيّنَ أنه يوجد تحت الحقل منجم ألماس!

إنّ المزارعَ الأولَ بحث في كلِّ مكان عن النجاح ولكنه لم يبحث فيما كان يملكه؛ غير مدرك أنه كان يبتعد عن النجاح بمقدار سَيْره ومضيه في البحث خارج ممتلكاته!

فلا تتطلع في الجهة المقابلة، ولا تقارن نفسك بالآخرين، وإنما ابحث في أعماقها عن منجم الألماس خاصتك، وستجده بالتأكيد، فأنت إنسان مميز تتجلى فيك قدرة وعظمة التكوين الرباني، وداخلك عوامل ومقومات سعادتك، لذا لا تنتظر أكثر، وابدأ الحفر في أعماقك منذ الآن، لتدرك نفسك قبل فوات الأوان، فما تأخر من بدأ وما تقادم من تقدم.

أمتك عظيمة

ثالثاً: أنت من أمة عظيمة؛ ربما تتنهد في حسرة بعد هذه الجملة، فأنت تعتقد أن مثل هذه الجمل لا مكان لها في عالم اليوم، وإنما علينا أن نغلق عليها خلف أسوار متاحف التراث، وإلا بدونا مغفلين أمام الآخرين.

أنت إنسان مميز تتجلى فيك قدرة وعظمة التكوين الرباني وداخلك عوامل ومقومات سعادتك

وأجيبك: ألم تكن أمتك عظيمة بالإسلام نفسه الذي تدين به أنت اليوم؟

ألم تغير آية واحدة فقط من آيات نفس هذا القرآن الذي لديك عُمَرَ القوي، والكثير غيره من عظماء المسلمين الذين عرفهم التاريخ؟

ألم يُرفع نفس الأذان الذي تسمعه كل يوم في أبعد بقاع الأرض، معلناً عن اتساع حدود الدولة الإسلامية وانتشار أبنائها في كل الأقطار؟

ألم تسقط قلاع كسرى وقيصر، تحت ما جاء به هذا الدين نفسه الذي تؤمن به في هذا العصر؟

ألم تقم الحضارات على أيدي رجال ينتمون لنفس هذه الأمة التي مازلتَ تنتمي إليها؟

ألا تسمع كَل يوم أن الناس ما زالوا يدخلون في هذا الدين أفواجاً ليكونوا من أمة محمد؟

فأخبرني إذن، أي جزء من هذا الدين بالضبط قد أصبح قديماً ليُحبس في المتاحف؟

إذن لا تجعل نظرتك للأمور قاصرة، ولا تصدق ما يريد منك أعداء هذا الدين تصديقه، فأنت أيها المسلم من أمة عظيمة لأنها تدين بهذا الدين العظيم الصالح لكل زمان ومكان، والذي سيبقى حياً يحيي القلوب، وينشر التعاليم السمحة في الوجود، ويضيء ما بقيت الدنيا للبشر الدروب.

ودعني أعد لك من جديد: أنت من أمة عظيمة، أعزها العزيز الجبار بدين الإسلام العظيم، وهداها إلى ما فيه فلاحُ وصلاحُ البشرية، وأقر سبحانه وتعالى في قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، أنها كانت خير أمة أخرجت للناس، ثم جعلها أمة وسطاً، وجعل المسلمين على الناس

شهوداً، ومضى أبناء هذه الأمة يحملون لواء الإسلام ليفتحوا كل بقاع الأرض وينشروا الدين الحق في أرجائها، فأسسوا الدول وصنعوا الحضارات وتقدم العلم وساد العدل.

وأضف إلى ذلك أن أمتك العظيمة بشهادة التاريخ كانت الأمة الوحيدة التي صنعت الأمجاد في الدنيا دون أن تفرط في الدين، فمدت جناحيها في الدين والدنيا، وما ضاع من بين يديها المجد إلا لما فرطت في الدين وتهاونت في الذود عنه؛ وبالتالي لا بد لك أن تعلم أنه لا سبيل لعزة المسلم ونجاحه إلا بالعودة إليه، فنحن كما قال عمر رضي الله عنه: «أمة أعزها الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله».

أنت إنسان.. أنت مميز.. أنت مسلم.

لعلك ما زلت تحث نفسك على الاقتناع التام بذلك؛ لأن وقع مثل هذه الكلمات يبدو غريباً عليك، ولا ألومك على مثل هذه الأفكار، فللأسف في مجتمعاتنا حيث نشأت أنا وأنت، تبرمجت عقولنا متأثرة بمناهجنا التعليمية على الانغلاق على نفسها وعدم السعي وراء الإبداع وتقديم الجديد، ولم نَتَرَبّ على الإيمان بعظمة ذواتنا وقدراتنا المميزة، فتقوقعت هذه الذوات داخل نفسها، بعد أن حكم عليها محيطها بأنها من دول متخلفة لا تستطيع أن تقدم شيئاً، وإنما عليها أن تنتظر ما سيجود به الآخرون مما قد تفيض به حضاراتهم، دون أن يعلمونا أنه لولا حضارتنا نحن.. نعم نحن؛ لما قامت لهم حضارة.

فأمسك بيدي، وتعالَ أنا وأنت نثور على كل هذه المفاهيم المغلوطة والمشوهة التي جعلت نظرتنا لأنفسنا مضطربة، يغلب عليها طابع الاستخفاف بمجتمعاتنا ونظرة الاحتقار لتراثنا والبعد عن ديننا ومعتقداتنا، تعالَ نصرخ بأعلى أصواتنا معاً حتى نكسر كل حواجز الصمت التي بناها جهلنا، تعالَ نحشد الشباب الطامحين أمثالنا ونرفع معاً أيادينا اعتراضاً على كل ما يراد لنا أن نكون، لنخبر آباءنا: عفواً، مع كل احترامنا لكم، فإننا نريد أن نكون أفضل حالاً من حالكم، وقررنا منذ اليوم أن نسير على نهج أجدادنا ونبني بعزم لا يلين صرح حضارتنا المتين، فتعود كما كانت عليه في عهدهم منارة تهدي الحيارى في ظلمات الوجود، ويرشد نورها التائهين في دروب الحياة نحو طريق الحق المبين.

أخبر نفسك باستمرار متى ضعفت: أنا قطعة فنية نادرة، خلقت بإعجاز وحظيت بشرف الانتماء لخير أمة وسوف أستمر في اكتشاف وتنمية إمكاناتي وقدراتي، وسأترك أثراً جميلاً في الكون خلفي.

وتقدم نحو الأمام بخطوات واثقة قوية، وعين تبصر الغاية.■

دورك المهم أن تكتشف الكنوز المدفونة في أعماقك والطاقات الكامنة داخلها

أمتك العظيمة هي الوحيدة التي صنعت الأمجاد في الدنيا دون أن تفرط في الدين

أنت قطعة فنية نادرة خلقت بإعجاز وحظيت بشرف الانتماء لخير أمة

محطات إيمانية في طريق التربية (١٠)

الرسول والرسالة

ماذا عليَّ أن أكتب حين أتحدث عن خير الناس وسيد ولد آدم، وحبيب الرحمن وخليله ومصطفاه؟! بل وأنّى لي أن تتحرك أناملي لتخط حروف الكلمات التي تعجز أن تدانيه فضلاً؛ وهو أفضل الخَلق، أو تكفيه وصفاً وهو أكملهم، أو تذكره حُسناً وهو أجملهم؟! فمهما طالت كلماتي وأفصحَت، ومهما وصلتْ من البلاغة مبلغها ومن الفصاحة منتهاها فلن توفيه مثقال ذرة من ذلك كله، لكنها جهد المقل من مُحب مقصّر علها تشفع له في يوم يرجو فيه الصحبة والحشر مع مَن يحب.. مع نبيه ورسوله محمد ﷺ وخيرة الناس من صحبه رضوان الله عليهم.

إيمان مغازي الشرقاوي

الرسول.. وتباشير الاصطفاء:

أي نور أضاء الكون فغطى على نور الشمس وحجب ضوءها، بل أي بركة حلّت، وأي سعادة طلّت، وأي رحمة هلّت، وأي حرية بدت تباشيرها؛ حين ولد محمد! بل أي نصر تراءى في الأفق عام مولده فكان فيه هلاك أبرهة الظالم وجيشه وجنوده!

ورسولنا ﷺ ولد يتيماً، وحُرم حنان أمه طفلاً فذاق طعم اليتم وقسوة الحياة بدون أب أو أمّ؛ لكنه مع يتمه نَعم برعاية جده عبدالمطلب ومن بعده عمه أبي طالب وقد أولياه رعاية واهتماماً كبيراً، ورعاية الأقارب لليتيم قد تعوضه بعض الشيء عن فقد والديه لكنها لا تنسيه مرارة اليتم الذي يتذوقه ويتذكره كل لحظة في نفسه، لذا فلا عجب أن نجد وصية الله له وقد صار محمد رسولاً: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾) (الضحى).

فكان ﷺ لليتيم والضعيف كالأب الرحيم، وقد تولدت الرحمة في قلبه والرأفة والشفقة فكان أرحم الناس لا سيما مع الأيتام والضعفاء وذوي الحاجة، وأخذ بوصية الله تعالى، ودعا إليها قائلاً: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى (رواه البخاري)، وقال لمن يشتكي قسوة قبله: «ارحم اليتيم، وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك» (أخرجه الطبراني وصححه الألباني)، وعندما شب الرسول ﷺ رعَى الغنم، ولم يستنكف من ذلك أو يأنف بل إنه يقول: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (رواه البخاري)، فتعلم الصبر على النفوس المتغايرة، وعرف كيف يتعامل معها إذا شردت عن الطريق، وكيف يحنو عليها ويؤلف قلوبها ويضمها إليه.

كما ذاق حلاوة الأكل من عمل يده، وشجع على ذلك فيما بعد، وقال: «ما أكل أحد طعاماً خير من أن يأكل من عمل يده» (رواه البخاري)؛ ليعلمنا عفة النفس والمطعم، وأن العمل الحلال خير من سؤال الناس، كما عمل بالتجارة في مال خديجة، وقد كان يلقّب بـ«الصادق الأمين»؛ فكان صادقاً في عمله أميناً في تعامله وفيما وُكل إليه، ثم كانت رسالته بعد ذلك داعية لحفظ الأمانات وحفظ الأموال وإنفاقها في قضاء الحاجات ونفقات البر والخير.

البداية:

وتبدأ رحلة الحبيب المصطفى ﷺ مع الرسالة، وقد اصطفاه الله واختاره لهذه المهمة الشاقة التي تحتاج منه إلى عزم وصبر وثبات ويقين، وعون وتأييد، وهي بالرغم من ثقلها ومسؤوليتها فإنها تكريم له من ربه، وتشريف وقرب، وقد حباه الله تعالى بأحسن الأخلاق وأعظمها، وطهر لها قلبه منذ نعومة أظفاره، فلا قلب من قلوب الخلق يصلح لها غير قلب الرسول ﷺ، قال تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الأنعام: ١٢٤)، وفي وقت كان الشباب يلهون ويعبثون بأوقاتهم

كان هو مع الله، لم يسجد لصنم قط أو يحبه أو يقدسه ويعبده، بل حفظه الله تعالى من اللهو والعبث والشرك والوثنية، وأخرج من قلبه حظ الشيطان منه، وحبب إليه الخلوة معه والتعبد له، وجعله صادقاً في رؤياه صدقه في كلامه ومنطقه، فكان لا يرى رؤيا إلا كانت كفلق الصبح تحققاً ووضوحاً وصدقاً ويقيناً، وكانت هذه هي البداية التي سبقت بعثته بالرسالة.

الرسول الخاتم:

إنه ﷺ الرسول الخاتم، والرحمة العامة، والهداية التامة، والبلاغ المبين، حفظه الله تعالى وعصمه حتى يقوم بالمهمة العظيمة التي أرسله من أجلها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة: ٦٧)، قال الشيخ السعدي: «هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلّم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله، فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه. (تفسير السعدي).

أنزل عليه الوحي من ربه؛ فصار بذلك نبياً، وجعل الله له شريعة ورسالة أُمر بتبليغها والدعوة إليها فأصبح رسولاً، فهو ﷺ نبي مرسل، أما رسالته فلأنها خاتمة فهي رسالة تامة خالدة، بدأت بكلمة «اقرأ»، و«يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلاً»، «يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر»، وهذه مقومات نجاح كل الرسالات؛ العلم، وتزكية النفس بهذا العلم، ثم دعوة الناس له لتزكو نفوسهم وتصلح أحوالهم، هي رسالة خالدة على مر الزمان.

وها هي تتردد كل يوم فوق المآذن وفي قلوب المسلمين وعلى ألسنتهم، بل يسمعها القريب والبعيد الآن مع اتساع رقعة شبكات التواصل ووصول خيوطها إلى آفاق بعيدة تصل عبرها أصوات الدعاة وحروفهم وكلماتهم ومناظراتهم في سبيل إيصال هذه الرسالة الخالدة لمن يفتقدها أو يضل عنها.

نحن.. ورسالة الإسلام:

إذا كانت الرسالة التي أُرسل بها رسولنا محمد ﷺ من عند الله فهي ربانية المصدر، أي أن كل ما فيها إنما هو من ربنا؛ العليم بكل شيء يصلحنا؛ الحكيم في أوامره ونواهيه لنا؛ لذا فلا يسعنا إلا السمع والطاعة، واليقين بأنها رسالة تامة سالمة من النقائص والشكوك، هادية لمن يأخذ بها ويعمل، تراعي أحوال الناس وتتصف باليسر ورفع الحرج عنهم.

وإذا كان أساسها وأصلها هو القرآن الكريم الذي قال الله تعالى عنه: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾) (فصلت)، فهي رسالة محفوظة بحفظ الله لكتابه، لذا فإن علينا الأخذ بشريعة الإسلام في شؤون حياتنا كلها، والتحاكم إليها، وتحكيمها في خلافاتنا، والاهتمام بدراستها، واستخراج الأحكام الشرعية من القرآن الكريم الذي هو مادتها وحياتها، وألا ننسلخ عنها فنقول أو نروج ما يشيعه المغرضون ومَن لا علم لهم من أن ذلك لا يصلح لهذا الزمان! بل إن علينا أن نربي أنفسنا وأولادنا على الأخذ بها والالتزام بما تدعو إليه من سلامة العقيدة، وحسن الأخلاق، وطيب المعاملات، والحفاظ على الدين والنفس والعقل والعرض والنسل والمال.

ولد يتيماً وحُرم حنان أمه طفلاً فكان لليتيم والضعيف كالأب الرحيم

أكل من عمل يده وشجع على ذلك ليعلمنا عفة النفس والمطعم

حفظه الله في صباه من اللهو والشرك وأخرج من قلبه حظ الشيطان منه

فشريعة الإسلام تناسب كل العصور، ومن أصولها تُبنى وتُستنبط الأحكام الشرعية لما يستجد في حياة الناس، ويقوم بذلك العلماء والفقهاء الربانيون من أهل الاجتهاد، الذين لا يخافون في الله لومة لائم.

هذا هو الرسول ﷺ، المبعوث رحمة للعالمين، أرسله الله إلى الناس كافة، وقال له: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾) (سبأ)، وأمره بإيصال رسالته بحسن البلاغ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: ١٢٥)، وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: «أيها الناس، إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويقلبها إليهم ويقول: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» (تفسير ابن كثير).

وهذه هي الرسالة، وقد استغرق الرسول محمد ﷺ في سبيل إيصالها حياته كلها ووقته جله، وجهده وطاقته، منذ أرسله الله بها إلى أن توفاه، وقام بها أصحابه من بعده وحملوا مهمة إيصالها للناس ففهموها، والتزموها قولاً وفعلاً وسمتاً وخلقاً قبل أن يدعوا إليها؛ ففتحوا القلوب بها قبل أن يفتحوا البلدان.

ثم حَمَل هذه الرسالة العظيمة مَن جاء بعدهم حتى وصلت إلينا، وأصبحنا بفضل الله من أهلها، وصار لها علينا حق وأي حق، لذا فإن من الواجب علينا تجاهها أن نمتثل لها، ونمثلها أمام الناس خير تمثيل، وأن نقدمها لهم ولكل محروم منها في أرقى صورة وأبهى حلة وأحسن أسلوب حتى يقبلوا عليها ويكونوا من أهلها، وأن ندفع عنها الشكوك والأقاويل التي تقال عنها ممن لا يعرفونها حق المعرفة، ونكشف عن الشبهات التي تثار ضدها ونبطل المؤامرات التي تحاك لإبعادها وإبعاد المسلمين عنها، ولنحمل أمانتها بحق وصدق، ونسلمها لمن بعدنا بسلام حتى تظل رايتها عالية خفاقة إلى يوم الدين.■

من الملاحظ بوضوح في واقع أسرنا العربية أن تعليم الأبناء ودراستهم تمثل محور الاهتمام الرئيس الذي يدور حوله كل جهود الغالبية العظمى من الآباء في تنشئة أبنائهم، متغافلين بذلك عن جوانب عديدة في بناء وتكوين شخصية الأبناء.

كيف تغرس بذور الإيمان في قلب طفلك؟

ياسر محمود

من أخطر المجالات التي يتغافل عنها الآباء هي التنشئة الإيمانية، وذلك على الرغم من أن الإيمان يمثل الدرع الواقية للأبناء من موجات التغريب والإلحاد التي تحاول اجتياح مجتمعاتنا العربية والإسلامية، كما أن الإيمان الراسخ يحمي صاحبه من سعار الشهوات ويضبط سلوكياته وتصرفاته في كافة مجالات الحياة، ثم يكون في الآخرة سبباً لنجاته وفوزه برضا الله تعالى.

ومن هنا وجب على الآباء أن يعتنوا بغرس بذور الإيمان في نفوس أبنائهم منذ نعومة أظفارهم.

وفي السطور التالية نستعرض بعضاً من أهم المداخل التي نعتقد أنها تسهم بدور كبير في بناء الإيمان في قلوب الأبناء:

١- التعلق بالله تعالى:

من الضروري أن تعمل على غرس محبة الله في قلب طفلك منذ صغره حتى يصبح دائم الارتباط والتعلق به تعالى، واعلم أن الإيمان لا يتحقق بمجرد حفظ الطفل لبعض المعلومات الصماء، ولكن ينبغي أن يمتلئ قلبه بمشاعر الحب الفياضة، ومن الأمور التي تساعد على تحقيق ذلك:

- ربط كل نعمة أو شيء جميل يتحقق لطفلك بفضل الله، وأنه سبحانه هو المعطي المانح، فمثلاً عند شراء لعبة يريدها تدعوه إلى أن يحمد الله الذي رزقك المال لتشتري به هذه اللعبة.. وهكذا.

- تنبيهه إلى نعم الله تعالى الكثيرة علينا، مثل نعمة العين التي نبصر بها، والأذن التي نسمع بها، واللسان الذي نتكلم به، والفاكهة اللذيذة التي نأكلها.. إلخ.

- توجيهه إلى التفكر والتدبر في خلق الله تعالى بما يناسب عمره وقدراته.

٢- محبة النبي ﷺ:

احرص على ترسيخ حب النبي ﷺ في قلب طفلك منذ صغره، فهو أصل من أصول هذا الدين، ومبدأ من مبادئه التي لا يستقيم إيمان المرء بدونها.

ومن الأمور التي تعينك على ذلك:

- حكاية سيرة النبي ﷺ

بأسلوب جذاب ومشوق، مع التركيز على أخلاقه ومعجزاته وحبه للصغار وعطفه عليهم.. إلخ، وفي هذا يقول سعد بن أبي وقاص: كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله كما نعلمهم السورة من القرآن.

- تعويده الصلاة على النبي ﷺ بمجرد سماع اسمه.
- توفير بعض الفيديوهات الجذابة التي بها قصص عن حياة النبي ﷺ.
- مساعدته على حفظ بعض الأحاديث.
- تشجيعه ومساعدته على المشاركة في إنتاج بعض الأعمال التي يعبر فيها عن حبه للنبي ﷺ مثل: كتابة الشعر، التمثيل، الإنشاد، القصص، بحث قصير، الخطابة.. إلخ.

٣ - مراقبة الله عز وجل:

من المعالم الأساسية للإيمان التي يجب عليك ترسيخها لدى طفلك هي مراقبة الله تعالى في السر والعلن، فبها يستقيم قلبه وتنضبط جوارحه ويستقر إيمانه، ومن الأمور التي تساعدك على ذلك:

- تذكيره بأن الله يرانا في كل مكان ومطلع على أعمالنا.
- تعويده على أن يكثر من ترديد هذه العبارة: «الله معي، الله ناظري، الله شاهدي»، وخاصة قبل نومه، حتى يستقر ذلك في قلبه.
- تذكيره دائماً بأن هناك ملكين يراقبانه ويكتبان كل شيء يفعله.
- حكاية بعض القصص عن مراقبة الله، مثل قصة بائعة اللبن وغيرها.

٤ - الارتباط بالقرآن الكريم:

اجتهد في غرس حب القرآن الكريم والارتباط به في نفس طفلك؛ فالقرآن هو النبع الصافي الذي يروي شجرة الإيمان في القلب، وهو المعين الذي يسكب برد الطمأنينة والسكينة في النفس.

ويساعدك على ذلك:

- أن تكون قدوة عملية له في تلاوة القرآن وتدبره والعمل به.
- فتح المصحف وحكاية بعض قصص القرآن المناسبة له.
- حثه على قراءة بعض آيات القرآن بشكل يومي بما يناسب عمره.
- مساعدته على حفظ قصار السور منذ نعومة أظفاره.
- تشجيعه على حضور حلقات تعليم القرآن.
- إشراكه في مسابقات القرآن.
- مدحه والثناء عليه كلما صدر منه سلوك طيب تجاه القرآن، كتلاوة بعض الآيات أو حفظها أو رفع شيئاً سقط على المصحف.. إلخ.

٥ - أذكار الأحوال:

احرص على ربط طفلك بالله تعالى مع كل عمل يقوم به، وذلك من خلال تعريفه وتدريبه على الالتزام بالأذكار المتعلقة بالأحوال، مثل أدعية: النوم والاستيقاظ، قبل الطعام وبعده، الخروج من المنزل والدخول إليه، دخول الحمام والخروج منه.. إلخ، ويساعدك على التزامه بها:

- التزامك أنت بها وقولها بصوت يسمعه طفلك.
- كتابتها في لوحات صغيرة وتعلقها في أماكنها المناسبة.
- تذكيره بها دائماً، فمثلاً إذا عطس أحد تذكره وتسأل الجميع: ماذا نرد عليه؟ وهكذا.
- إحضار كتيب خاص بها لرجوعه إليها حال النسيان.
- الحرص على مكافأته عند التزامه بها.

٦ - ممارسة العبادات:

احرص على تعويد طفلك على ممارسة العبادات والشعائر الدينية منذ نعومة أظفاره؛ فالعبادة من أهم الوسائل الفعالة لتربية القلب وربط العبد بربه وتعميق الصلة به تعالى، وفي مقدمة هذه العبادات الصلاة والصيام، ومن الأمور التي تعينك على تدريبه عليهما:

أ- الصلاة:

- كن قدوة له في الحفاظ عليها.
- تشجيعه على الوقوف بجوارك وتأدية حركاتها.
- اصطحابه للمسجد وشراء شيء يحبه بعد الصلاة مباشرة.
- تعظيم قيمتها بتعويده على التوقف عن الأعمال والكلام عند سماع الأذان.
- توفير كراسات تلوين تتناول الصلاة.
- امتداح أدائه لها أمام الأقارب والأصدقاء.
- عند ٧ سنوات اعقد له حفلاً لبدء الصلاة.
- الحديث معه عن فضائلها.
- مشاهدة مقاطع فيديو جذابة ومشوقة عن الصلاة.
- متابعة محافظته عليها.
- الاتفاق معه على جدول متابعة للصلاة.

ب- الصيام:

- توضيح معنى الصيام له وتدريبه عليه عندما يكون لديه الفهم والقدرة على الصيام ولو لساعة واحدة.
- التحدث معه عن فضائل الصوم.
- تدريبه على الصيام بالتدرج، كأن يصوم من السحور إلى الوقت الذي يستطيعه، ثم يزداد هذا الوقت بشكل متدرج،

الإيمان يمثل الدرع الواقية للأبناء من موجات التغريب والإلحاد التي تجتاح مجتمعاتنا الإسلامية

الإيمان لا يتحقق بحفظ الطفل لبعض المعلومات الصماء لكن ينبغي أن يمتلئ قلبه بمشاعر الحب

بمراقبة الله تعالى في السر والعلن يستقيم قلب الطفل وتنضبط جوارحه ويستقر إيمانه

القرآن هو النبع الصافي الذي يروي شجرة الإيمان في القلب والمعين الذي يسكب برد الطمأنينة بالنفس

العبادة من أهم الوسائل الفعالة لتربية قلب الطفل وربطه بربه وتعميق الصلة به تعالى

ويمكن تدريبه بتأخير تناوله لإفطاره إلى الثانية عشرة ظهراً مثلاً، ثم يصوم بعدها الوقت الذي يستطيعه، وبشكل متدرج يتم زيادة هذا الوقت.

- تأخير تناول السحور إلى ما قبل أذان الفجر؛ لتقليل الساعات التي يشعر فيها بالجوع والعطش.
- توجيهه للتقليل من بذل أي جهد بدني كبير.
- شغله بشكل مفيد ومرح أثناء صيامه؛ خاصة قبل أذان المغرب.
- الابتعاد تماماً عن أسلوب الضغط والتخويف والعقاب أثناء تدريبه.
- مدحه وتقديم بعض الهدايا العينية أو المكافآت المادية غير المبالغ فيها.

عوامل مساعدة

١- الانتقال من المحسوس إلى المجرد:

من الضروري عند حديثك مع طفلك عن المعاني المجردة، وخاصة الغيبيات، أن تستخدم المشاهدات الحسية التي يستطيع أن يدركها بحواسه، فمثلاً عند الحديث معه عن رؤية الله لنا جميعاً في وقت واحد تقول له: «حينما تكون أنت واقفاً في أعلى العمارة، وعدد كبير من أصدقائك يقفون أسفل العمارة، فإنك تراهم جميعاً في نفس الوقت، والله سبحانه أعلى منا بكثير، لذلك فهو يرانا كلنا في وقت واحد».

٢- الانسجام بين قولك وعملك:

الانسجام بين قولك وعملك يساعد على نمو الجوانب الوجدانية والإيمانية بشكل أفضل، ومن الضروري الثبات والاستمرار على ذلك؛ لأن مرة واحدة يراك فيها طفلك تمارس سلوكاً خاطئاً، ربما يهدم كل ما سبق.

٣- التحفيز لا الإجبار:

تجنب إجبار طفلك على أداء بعض الشعائر الدينية؛ حتى لا تضع بينه وبينها حائلاً نفسياً سلبياً، ولكن يمكنك استخدام التشجيع والتعزيز بكل أشكاله المعنوية والمادية؛ لدفعه إلى ممارسة هذه الشعائر بما يناسب قدراته وإمكاناته.

٤- الترغيب لا الترهيب:

احرص على استخدام الترغيب في الثواب والجنة عند توجيه سلوكيات طفلك، وابتعد عن تخويفه من النار وذكر ما فيها من تفاصيل وأنواع العذاب، خاصة في السنوات الست الأولى من عمره؛ لأن ذلك قد يصيبه ببعض المخاوف، وقد يؤثر على بنائه النفسي تأثيراً سلبياً.

٥- التدريب والتعويد:

يؤدي التدريب والتعويد دوراً فعالاً ومؤثراً في تكوين وتنمية مفاهيم الدين لدى الطفل؛ لذا عليك أن تحرص على تكرار العبادات، مثل أداء بعض الصلوات أو تلاوة القرآن وغير ذلك من السلوكيات المرغوبة أمامه، وأن تكون عوناً له على تعويده عليها حتى تثبت لديه، وتصبح عادة يمارسها بلا مشقة أو استثقال في المستقبل.■

قبل الحديث عن الغيبيات والأمور المجردة انطلق من المشاهدات الحسية التي يستطيع أن يدركها بحواسه

تجنب إجبار طفلك على أداء بعض الشعائر الدينية حتى لا تضع بينه وبينها حائلاً نفسياً

البجعة السوداء

تداعيات الأحداث غير المتوقعة (*)

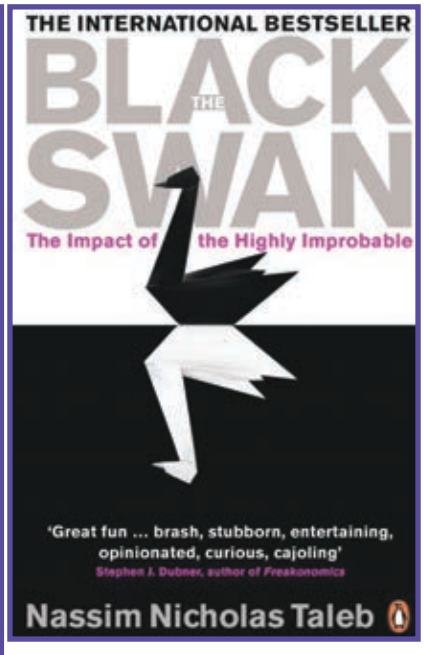

بيانات الكتاب

- المؤلف: نسيم طالب.
- الناشر: الدار العربية للعلوم (ناشرون).
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٩.
- عدد صفحات الكتاب: ٥٣٣ صفحة من القطع الكبير.

عن الكتاب:

- تصدر قائمة «نيويورك تايمز» لـ١٣ أسبوعاً على التوالي فور صدوره.
- ترجم إلى ٣١ لغة.
- صنفه موقع «أمازون» كواحد من أفضل الكتب في العام ذاته.

عرض: محمود المنير

الكتاب يدعو لإعادة النظر في مفاهيمنا عن الحياة خاصة ما نتعامل معه باعتباره «بديهياً»

وضْع نظرية واحدة يحتاج إلى أدلة كثيرة للتصديق بها في حين أن هدمها يحتاج لدليل واحد فقط

نبذة عن المؤلف:

- نسيم طالب من مواليد لبنان عام ١٩٦٠م معروف بصفة فيلسوف الصدفة.
- درس الفلسفة والرياضيات من أجل تعميق معارفه بما يسميه «علم الصدفة».
- يحمل شهادة عليا من مدرسة وارتون التابعة لجامعة بنسلفانيا وشهادة الدكتوراه من جامعة باريس - دوفين، في الاقتصاد.
- يقوم حالياً بتدريس مادة «التسويق» في مدرسة لندن للأعمال التجارية وعلوم «الاحتمالات» في جامعة ماساشوستس والرياضيات في جامعة نيويورك.
- له العديد من المؤلفات من بينها: «الصدفة المتوحشة: أسواق البورصات هي حياتنا، الدور المخبوء للحظ».

هذا الكتاب:

يدعو كتاب «البجعة السوداء» قرّاءه لإعادة النظر في مفاهيمهم عن الحياة وخاصة ما يتعاملون معه باعتباره «بديهياً»، لافتاً إلى عدم وجود «يقين» حقيقي يمكنه الصمود أمام الحياة، مشيراً إلى أن مرور أي من «البجعات السوداء» في حياة أي منا بإمكانه قلبها رأساً على عقب، ليفسحوا مجالاً أكبر لـ«الصدف» التي بإمكانها تغيير الكثير.

أما سبب تسمية كتابه بـ«البجعة السوداء» فيقول المؤلف: إنه قبل اكتشاف قارة أستراليا كان يعتقد الجميع في عدم وجود البجع الأسود الذي ظهر لأول مرة في القارة، وأنه لا يوجد في العالم سوى البجع الأبيض، لافتاً إلى أنه إذا تطلع الإنسان إلى الواقع من حوله من زاوية مستقبلية فسيجد فيه أموراً «غير متوقعة» ولكنها ستصبح «متوقعة» إذا نظر لها من زاوية الماضي.

ويستشهد المؤلف بمثالين

(*) الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن رأي الكاتب.

للتدليل على نظريته عن البجعة السوداء، موضحاً أن الحرب اللبنانية وأحداث الحادي عشر من سبتمبر كان من الممكن التنبؤ بهما إذا رأينا ماضي هذه الأحداث بصورة أفضل، ويحدد المؤلف في كتابه ثلاثة عناصر ترتبط بمفهوم «البجعة السوداء» تبدأ بحدث غير متوقع، ثم ظهور تأثير لذلك الحدث، ثم الدهشة التي تصيب الناس بعد وقوع الحدث فيبدؤوا في البحث عن الأسباب التي أدت لوقوعه.

ويلقي المؤلف في «البجعة السوداء» الضوء على ما يصفه بـ«عيوب التفكير البشري» التي من بينها التدقيق في التفاصيل وتجاهل الصورة الأكبر، لافتاً إلى أن الجنس البشري أصبح «عبداً» للتفكير المألوف النمطي الذي لا يساعده على التنبؤ بالمستقبل، ويرى المؤلف أن بعض البشر مصابون بـ«وهم المعرفة»، وهو أكبر أكذوبة يقنع بها الإنسان نفسه بأنه يستطيع الإلمام بعالم تعد «العشوائية» و«التعقيد» من صفاته الأصيلة التي يستحيل معها أن يدركه الإنسان كاملاً، ويلفت المؤلف في كتابه إلى وجود عدة أمثلة للبجعة السوداء، حدثت بالفعل، من بينها الانهيارات الاقتصادية في عدة دول في العالم.

اكتشاف البجعة السوداء

يحدد الكاتب ماهية «البجعة السوداء»، في ثلاثة عناصر:

- حدث غير متوقع تماماً.
- حدث له تأثير هائل.
- بعد وقوع الحقيقة، يُرشد الحدث قبل فوات الأوان، كما لو كان متوقعاً، وأن دماغنا سوف يجتهد بعد حصوله للبحث عن الأسباب المنطقية التي أدت إليه.

يقدم المؤلف من خلال هذا الكتاب دعوة مفتوحة للجميع، لإعادة النظر والتساؤل من جديد حول كل ما يعتبر أمراً بديهياً، فما من يقين فعلي ودائم لأي فكر أو قناعة أو توجه في مسيرة الحياة بشكل عام، ولا لمسيرة الفرد الشخصية، نتيجة وجود هذه «البجعات السوداء» التي لا يضعها الإنسان في الحسبان، ونتيجة إهماله لمقاربتها، في حين أن حدوثها سيؤدي إلى قلب حياته رأساً على عقب.

فليتواضع الذين يعتبرون أنفسهم «خبراء» في مختلف ميادين الحياة، وليضعوا حسبان «اللايقين» في أقوالهم واستنتاجاتهم وخططهم المستقبلية، وليتذكروا على الدوام الدور الكبير والهائل الذي يمكن للصدفة أن تمارسه في تغيير مجرى الأمور وحتى نسف وإبادة المعطيات التي تبنى عليها أسس تنظيم الحياة حاضراً، كما أسس رؤيتها مستقبلاً.

وليتوقع الإنسان ما هو غير متوقع؛ لأن «التطرف، والمجهول وغير المتوقع هي ما يتحكم بعالمنا»، كما يقول الكاتب، وكي لا نكون كالدجاج الذي لا يشك لحظة أن الإنسان اللطيف الذي يتعامل معه والذي يقدم له الغذاء والماء يومياً، إنما هو يفعل ذلك ليقطع عنقه فيما بعد.

٣ عناصر ترتبط بالبجعة السوداء تبدأ بحدث غير متوقع ثم ظهور تأثيره ثم الدهشة بعد وقوعه

الاكتشافات العلمية والأحداث التاريخية والإنجازات الفنية هي «البجعات السوداء» غير الموجهة

من فكرة إلى نظرية

مصطلح «بجعة سوداء» -كما أشرنا- كان رمزاً لشيء ما كان مستحيلاً أو لا يمكن أن يوجد وهو البجع الأسود، وفي القرن الـ١٨ تم اكتشاف البجع الأسود في أستراليا الغربية، وهو ما جعل الاستحالة المتصورة في الواقع قد حانت أن تُمرر.

يرى المؤلف أن الاكتشافات العلمية الكبرى تقريباً، والأحداث التاريخية، والإنجازات الفنية هي «البجعات السوداء» غير الموجهة وغير المتوقعة، ويدلل على ذلك بأمثلة كثيرة مثل: شبكة الإنترنت، واختراع الكمبيوتر الشخصي واندلاع الحرب العالمية الأولى، وهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

فلسفة المؤلف تقوم على عدم إضاعة الوقت في إثبات شيء يمكن نقضه بسهولة، ويكتفي بالاستعداد لحدوث هذا الاحتمال الضئيل الذي يهدم النظرية؛ لذا يركز على الظواهر النادرة الحدوث، وأيضاً يركز على عيوب التفكير البشري، وكيف أن الإنسان يركز في تفكيره على أدق التفاصيل وتغيب عنه الصورة الأكبر!

يدرس المؤلف في الواقع طبيعة العلاقة بين المقولات الفلسفية - المنطقية وبين الواقع التجريبي، فمثلاً إذا تم التأمل في التفجيرات التي عرفتها نيويورك وواشنطن في صباح ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فإن «الخطر كان قابلاً للتصور منطقياً يوم ١٠ سبتمبر».

لكن الفرق كبير بين ما يتفق مع «المنطق» وما يجري في الواقع، ومن هنا يعتبر المؤلف أن تلك التفجيرات كانت بمثابة «بجعة سوداء»، ومثلها في ذلك مثل «الحرب الأهلية اللبنانية» التي اندلعت في ربيع عام ١٩٧٥م، وهو يصف تفجيرات ١١ سبتمبر والحرب الأهلية اللبنانية على أنهما بجعتان سوداوان كاملتا الأوصاف، وذلك بمقدار ما كانت «مفاجأتهما» كبيرة.

«البجعات السوداء» -كما يتم تقديمها- تمثل أيضاً منعطفات حقيقية في التاريخ الإنساني أحياناً، وهذا ما يعبّر عنه المؤلف بالقول: «عندما أسأل الناس عن التكنولوجيات الثلاث التي كان لها أثر كبير في مسيرة العالم الذي نعيش فيه اليوم، فإنهم يجيبون عادة بالقول: إنها تتمثل في الحاسوب وشبكة الإنترنت وأشعة الليزر»، هذه التكنولوجيات الثلاث يعتبرها بالتحديد «أوزات سوداء»، وذلك على أساس أنها لم تكن «مرئية» قبل اختراعها، ولو كان لدينا اليوم «وهم» أنها كانت «مرسومة» وفق خطط تربط السبب بالنتيجة.

القدرة على التنبؤ

يورد المؤلف أسباباً ثلاثة تحول بيننا وبين قدرتنا على التنبؤ بـ«البجعة السوداء/ الأحداث غير المتوقعة»، يرجع السبب الأول منها في كون البجع الأسود غير قابل للتنبؤ، وثانيها هو أن القادة ينزعون إلى التركيز على ما يعرفونه وعلى تفاصيل ما يعرفونه فقط، أما السبب الثالث فهو تأثير البيئة المحيطة.

وهذا كله في رأي المؤلف يعود إلى أن احتمال تغيير طريقة تفكيرنا محدودة، ويفسر هذه الحالة بتأثير ديناميكيتين على كيفية تفكيرنا، هما: التحيز والانحراف في التفكير، والنزوع إلى عدم التخلي عن رأي ما طوره الشخص.

فنحن نتعامل مع أفكارنا

كممتلكات، وإن كانت هاتان الديناميكيتان مسؤولتين عن حالة من القصور في الطريقة التي نتلقى بها الأحداث ونفسرها، وعلى أساسه يقسم المؤلف العالم إلى مكانين «وهدائستان» و«غلوائستان»، في وهدائستان يعيش من هم على سوية واحدة من التفكير متمسكين بالأنماط التقليدية رافضين الجديد وغير المألوف وهنا تكثر البجعات السوداء وأثرها المفاجئ، أما غلوائستان على العكس تماماً يعيش من هم على سوية عالية من التفكير والمبدعون، ويكون احتمال البجعات السوداء أقل تأثيراً ممّا عليه في المكان الأول.

ويخلص المؤلف إلى أن هناك نوعين للبجع الأسود، «البجعة السوداء السلبية» أي الموقف الذي يترتب فيه على الأمر غير المتوقع الإصابة بضرر بالغ، و«البجعة السوداء الإيجابية» أي الموقف الذي يترتب فيه على الأمر غير المتوقع فائدة ما.

يسرد المؤلف المثال تلو المثال، ويسرد مشاهير الأسماء، ليؤكد حقيقة، أن من نجح يظن أنه نجح بسبب كذا وكذا، لكن الناظر من بعيد سيجد أدلة تؤكد عدم صحة هذا الزعم، النجاح في البورصة ليس دليلاً على أي شيء، وسيارة الدفع الرباعي ذات الثمن الباهظ ليست دليلاً على أن سائقها عبقري فذ، والرصيد المليوني ليس دليلاً على الذكاء أو النبوغ، لماذا نجح هذا أو ذاك؟ اجتهاد منه؟ جائز، توفيق؟ جائز، لكن الأكيد أن النجاح ليس حكراً على أحد!

هل هي الدعوة للتخاذل وعدم فعل شيء؟ بالطبع لا، ما أريد قوله هو: إن المباراة لم تنته، وربما لن تنتهي، وأن الهدف الذي دخل مرماك لن يكون الأخير، لكنك كذلك ستحرز مثله الكثير، كل محاولة تبذلها قد تكون هي الناجحة، فلا شيء يمنعها من أن تكون كذلك، على العكس، الاحتمالات تلعب لصالحك، لا يهم أن تكون غنياً أو قريباً لمسؤول، ولا يهم أن تكون في بلد غني أو فقير، طبعاً كل هذه الأمور قد تجعل الوقت اللازم للنجاح أقل، لكن مرة أخرى ليس بالضرورة، لقد عثروا على البجعة السوداء في أستراليا، فهل عثرت أنت عليها؟

يدعونا المؤلف إلى أن نستمر في البحث عن بجعتنا السوداء وعن نجاحنا وعن فرصتنا؛ فهي حتماً هناك!

خلاصات الأفكار

– وضْع نظرية واحدة يحتاج إلى أدلة كثيرة جداً للتصديق بها، في حين أن هدمها يحتاج لدليل واحد فقط.

– كلما ظن الإنسان معرفته بما يحدث الآن، وما سيحدث في المستقبل؛ كانت صدمته عنيفة بأحداث تثبت له عدم صحة زعمه هذا.

– يرى المؤلف أننا عبيد لتفكيرنا في الأشياء المألوفة والعادية مما يجعلنا نتأخر ولا نستفيد مما يقع لنا من أحداث.

– يعتقد الغرب أن الديمقراطية المقبلة سوف تكون مرتبطة به ارتباطاً عضوياً، الأمر الذي يجعلها تدور في فلكه سياسياً واقتصادياً، على غرار ما جرى في دول أوروبا الشرقية.

– لن يكون غريباً أبداً أن يظل الغرب يرتكب الحماقات واحدة تلو أخرى، وأن يدير ظهره للبجعة السوداء، الذي يعرف أنها موجودة كاحتمال كبير في أي لحظة وفي أي مكان.

– الغرب فقد القدرة على التحكم في مسار الشعوب وإراداتها، وكل ما نراه من مواقف داعمة أو رافضة ليس سوى محاولات لاستباق النتائج، التي يعلم الغرب جيداً أنها قد تحمل الكثير من البجعات السود، وهو ما لا يريده.

> **إننا عبيد لتفكيرنا في الأشياء المألوفة وهو ما يجعلنا لا نستفيد مما يقع لنا من أحداث**

> **عدم المقدرة على التنبؤ بما هو خارج المألوف يكمن في صعوبة التكهن بمسار التاريخ**

– حين تتكرر أشياء وأمور من حولنا، نميل إلى تنظير النظريات ووضع القواعد، لكن حقيقة الأمر تثبت أنه إذا أمعنا البحث أكثر، واجتنبنا انتقاء المعلومات التي تؤيد نظريتنا واستبعدنا كل ما يشكك فيها، لو فعلنا كل هذا، فستقل النظريات التي نضعها كثيراً، ولأبقينا عيوننا مفتوحة، بحثاً عن المزيد من المعلومات، ولأبقينا أذهاننا متفتحة، تتقبل الجديد والغريب.

– إن عجز العقل البشري عن توقع أي حدث، وبالتالي عجزه التحضير للتعامل مع نتائجه ومع التغييرات الحاسمة التي يولدها، يعود إلى ندرة إمكانية وقوعه، تلك التي تؤدي إلى إهماله وتجاهله.

– يعتقد المؤلف أننا مجرد ماكينات «عظيمة» للنظر إلى الوراء، وبأن ليس هنالك من هو أشد من البشر مخادعة للذات، وكلما مر عام زاد اقتناعه بهذه العلة البشرية!

– مشكلات المعرفة لدينا هي «المعرفة الاستقرائية» ويتساءل: كيف للإنسان أن يذهب من مثال محدد وضئيل ليصل إلى استنتاجات عامة!

– لا أحد يجد متعة في الإصغاء إلى الأفكار التافهة والسفاسف فجدوى مشروع بشري بشكل عام إنما يعكس طرداً نسبة توقعات نجاحه.

– إن ما تعرفه لا يمكن له أن يؤذيك.

– إن عدم المقدرة على التنبؤ والتكهن بما هو خارج عن المألوف إنما يكمن في صعوبة التكهن بمسار التاريخ مع الأخذ بعين الاعتبار مساهمة هذه الوقائع في ديناميات الأحداث.

– نحن لا نتعلم القواعد، بل يبقى تعلمنا قاصراً على الحقائق ولا شيء غيرها.

– نحن في أشد حاجة إلى الوقاية مما نحن بحاجة إلى العلاج، ولكن ما أقل من يكافئ جهود الوقاية.

– نحن نمجد من تركوا أسماءهم في كتب التاريخ على حساب أولئك المساهمين في أدوار بيت كتب التاريخ صامتة عنها.

– نحن البشر لسنا مجرد مخلوقات سطحية التفكير فقط، بل نحن أيضاً أبعد ما نكون عن الإنصاف والعدل.

– إذا شئت الحصول على فكرة عن طباع صديق، أو أخلاقه، أو عن ألق شخصيته، فعليك تفحصه تحت ظروف قاسية، وليس تحت وهج اليسر الاعتيادي للحياة العادية.

– هل نستطيع أن نفهم الصحة دون أن ندرس الأمراض الفتاكة والأوبئة المعدية؟ فبالفعل، إن «العادي» كثيراً ما يكون عديم الصلة والأهمية.■

الأدب الإسلامي.. والتحديات الفكرية المعاصرة

تحديـاتٌ كثيـرة فُرِضَـت علـى الأدباء حاملي الهوية الإسلامية فكراً وتوجهاً وإخلاصاً في العصر الحديث، فمنذ نهاية القرن التاسع عشر وإلى يومنا والهجمة التغريبية شـديدة على الأمة المسـلمة وعلى شعوبها ومثقفيها.

د. مصطفى جمعة
أكاديمي وناقد أدبي

الأدباء الإسلاميون تجاوزوا الأطر التقليدية للرؤية الإسلامية إلى آفاق أرحب تتبنى الإسلام بوصفه منظوراً شاملاً للحياة

الفن الإسلامي شامل لكل قيم الخير والسلام ويرفض الدعوات الشوفينية العنصرية

ترافقت الحملة التغريبية مع الاحتلال الاستعماري في العالم الإسلامي؛ فالاستعمار الغربي هاجم بلدان العالم الإسلامي بعسكره وفكره وثقافته ومؤسساته؛ ما أدى إلى افتتان كثير من المثقفين والأدباء بالنموذج الغربي في التقدم والتنمية، وسقوطهم في إسار المركزية الفكرية الغربية، بنظرتها الاستعلائية إلى الأمم، وترويجهم للفكر الاستشراقي المتخم بميراث ضخم من العداء ضد العالم الإسلامي منذ القرون الوسطى.

تكونت أجيال متعددة من الأدباء المتبنين للطروحات الفكرية والفلسفية الغربية التي تجلّت في أعمالهم الإبداعية، حتى بات الأديب الملتزم بالإسلام روحاً وفكراً غريباً في خضم رافعي الرايات الفكرية، التي تدعو صراحة إلى تبني ثقافة الغرب المبنية على الثقافة اليونانية القديمة، بل ادّعى بعضُهم أننا أقرب لثقافة اليونان من الثقافة العربية الإسلامية، وأن الحضارة الهلينية تكونت على أرضنا (في مصر والشام)، فنحن أولى بها، وعلينا اللحاق بالأوروبيين، لنكون أنداداً لها.

تناغم ذلك كله مع اشتداد دعاوى الوطنية القُطرية وقوميات العرق والجنس، وهي امتداد لنموذج الدولة القومية/ الوطنية في أوروبا، وتضاد لبّ فكر الرابطة الإسلامية الجامعة لشعوب المسلمين من منطلق عقدي ديني، المتجاوز الانتماء إلى روابط دنيوية (العرق، الأرض، الثقافات، اللغة)، ونادت هذه الدعوات بأن يكون الأدب مرتبطاً بهموم القُطر لا الأمة، ليكون لحضارات بائدة سابقة على الحضارة الإسلامية[1]، وكلها كانت نزعات تهدف إلى تفتيت الأمة، وتحوير انتمائها المتوارث إلى الإسلام عقيدة وسلوكاً وثقافة وحضارة، وهو ما استشعره الشاعر الكبير محمد إقبال، فأنشد قائلاً:

أضحى الإسلام لنا ديناً
وجميع الكون لنا وطنا
توحيد اللّه لنا نورٌ
أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تُمحى
في الدهر صحائف سؤددنا

يتغنى إقبال هنا بالرؤية الإسلامية، بالرغم من دراسته لسنوات طويلة في بريطانيا وألمانيا، إلا أنه حمل الفكرة الإسلامية في أعماقه، وصاغ بها أشعاره، ولا عجب، فهو القائل: «لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لبّي، ويُعشي بصري، ذلك لأني اكتحلت بإثمد المدينة (المنورة)، لقد مكثت في أتون التعليم الغربي، وخرجت كما خرج إبراهيم من نار النمرود»[2]، وهذا نموذج دال على عدم الاستسلام النفسي للحضارة الغربية، ويأتي رداً على مبدعي التغريب الذين سقطوا في لجج الفلسفات الغربية، وقرؤوا تاريخنا وثقافتنا في ضوئها، وباتوا -بدون

• محمد قطب

أن يشعروا- أذرعاً لثقافة المستعمر، وأصبح الإسلام في نظرهم كهنوتاً لا أكثر.

رحابة الفكر الإسلامي

لقد نجح أدباء الأدب الإسلامي في تجاوز الأطر التقليدية للرؤية الإسلامية التي تكاد تحصره في قضايا الدين والشريعة، إلى آفاق أرحب، تتبنى الإسلام بوصفه فكراً ومنظوراً شاملاً للحياة والناس والأمة والإنسانية، لتواجه الفلسفات الشمولية الغربية، التي قدّمت أطراً ومرجعيات للأدباء في العالم الإسلامي، جعلتهم يتبنون رؤاها.

وهذا ما صاغه محمد قطب في كتابه «منهج الفن الإسلامي»، موضحاً أن الرؤية الإسلامية للفنون والآداب «ترسم الوجود من زاوية التصور الإسلامي للوجود، وهو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، وهو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود»[٣]، فالفن الإسلامي شامل لكل قيم الخير والحب والسلام والطمأنينة، ويرفض في ذلك -مثلاً- الدعوات الشوفينية العنصرية القومية، التي راجت في أوروبا، فيما يسمى علو عقل الرجل الأبيض وثقافته.

فلا معنى لأن يتوحّد أديب

> كثير من الأدباء افتتنوا بالنموذج الغربي في التقدم وروّجوا للفكر الاستشراقي المعادي للإسلام

> مشكلة بعض الأدباء التقليديين اتخاذهم موقفاً سلبياً من أشكال الأدب الوافدة دون التعاطي الإيجابي معها

> المذاهب الأدبية متجددة ولا بأس من التلاقح الإبداعي بين الثقافات دون استلاب حضاري وفكري

-أياً كان- خلف الدعوات الاستعمارية البغيضة، والمثال على ذلك الشاعر الإنجليزي «روديارد كبلنج»، الذي جعل الأدب في خدمة الاستعمار البريطاني، رافضاً قيام عصبة الأمم لحل منازعات الشعوب، داعياً لسيطرة الأقوى، متغنياً بحروب بلده المستعمر التي أفنت الملايين من الشعوب، وهو القائل: «الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقي الاثنان»، والشرق عنده ما هو إلا الأمم الرازحة تحت نير الاحتلال البريطاني[٤].

وهناك أدباء يساريون فرنسيون أيدوا مذابح الاحتلال الفرنسي ضد الجزائر، رافضين التنازل عن الجزائر الفرنسية المتحضرة للشعب الجزائري «المتخلف» - في نظرهم - وأبرزهم: «جان ريفيه»، «جورج دوهمال»، «جاك سوستيل»، الذين نددوا بجبهة التحرير الجزائرية وقالوا عنها: إنها فاشية وعنصرية لأنها تناضل ضد محتل قاتل، فضلاً عن أدباء شيوعيين أيدوا القوانين الردعية الاستثنائية[٥].

وتكمن المفارقة هنا أنهم يساريون صدعوا رؤوسنا بالحريات والمساواة والاشتراكية والعدالة، إلا أنهم مارسوا عنصريتهم الغربية على الشعب الجزائري المسلم، ويقاس على ذلك كل الأدباء الذين عادوا كل ما هو إنساني، وكانوا مخالب ثقافية في ترويج ثقافات استعلائية، تحتقر الأجناس والثقافات.

نعم للتلاقح الفكري

هذا، وقد كانت مشكلة بعض الأدباء العروبيين التقليديين أنهم اتخذوا موقفاً سلبياً من أشكال الأدب الوافدة من الغرب، دون التعاطي الإيجابي معها، على الرغم من انتشار هذه الأشكال في العالم العربي والإسلامي، ووجود قاعدة جماهيرية واسعة تتذوق هذه الآداب والفنون؛ فمثلاً هناك مَن ناصب شعر التفعيلة العداء، متمسكاً بالشعر العمودي، في حين أن هناك إقبالاً كبيراً على هذا اللون الشعري، لاعتبارات ذائقية وبلاغية مستجدة، فلما صاغ أدباء الأدب الإسلامي أشعارهم، استطاعوا أن يكونوا أنداداً لغيرهم.

ونفس الأمر يقال على المذاهب والمناهج الأدبية الوافدة من الثقافة الغربية، فشتان بين مفهوم الرفض المطلق، ومفهوم التعاطي الإيجابي، فالأول يعني: صم الأذن، وحجب العين عن التلقي الفاعل لما هو جديد، فهذا لن يمنع انتشاره، وإنما يمنعنا نحن من معرفة هذا الشكل، ودراسته، والوقوف على جمالياته.

أما المفهوم الثاني فيرى أهمية دراسة كل ما هو جديد، والنظر فيما يضيفه لنا، ومعرفة ما يدسه في ثنايا أسطره، وما يروّجه من أفكار وصَرْعات.

وبمعنى أوضح؛ إن الأشكال والمذاهب الأدبية متطورة متجددة، ولا بأس من التلاقح الإبداعي بين الثقافات، وإنما المشكلة في الهزيمة النفسية والاستلاب الحضاري والفكري الذي يسقط فيه البعض عندما يقف منبهراً أمام ثقافة الآخر، ومن ثم يقلّدها، ويساهم -دون أن يدري- في الترويج لها.

وهذا يفرض على الأديب الملتزم القراءة المتفاعلة لكل ما يُستجَدُّ على الساحة، ودراستها، والإفادة منها أو التحذير من خطرها، وما أكثر الأخطار الفكرية والنفسية الوافدة علينا كل يوم، فمن العبث تجاهلها، مثلما أن يكون من العبث الاستسلام لها.■

الهوامش

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٢، ص٨٣١-٣٥١.

(٢) روائع إقبال، أبو الحسن الندوي، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٠، ص٥٢.

(٣) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ص٦.

(٤) الأدب الإنجليزي الحديث، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠١٥، ط٤، ص٧٤ - ٩٤.

(٥) المثقفون وحرب الجزائر، بوعلام رمضاني، موقع:
www//:ptth
erutluc/swen/ten.areezajla.

قصة قصيرة..

الحب الحقيقي

د. أحمد عيسى

تكاد تستفيق من البنج ويتراءى على أفق مخيلتها شريط ذكريات تنبض فيه بين الحين والآخر صورته، وكأن حوله هالة من النور، وتبدأ الصور في الوضوح كأنك وضعت عدسة كبيرة أمام الأفق تضبط بؤرة الأشياء، ما أوضح الأمر الآن وما أحدّ البصر: لقد استفاقت تماماً.

لمحت الملابس البيضاء للممرضة فنادت بصوت خفيض ضعيف متكسر كأنه جاء من أعماق النفس: كيف هو؟ ماذا فعل؟ أين هو؟ تهلل وجه الممرضة حيث أدركت أن المريضة أفاقت من التخدير بعد العملية، ولكنها لم تجب عليها إلا الحمد لله على السلامة حيث ظنت أن أسئلتها تعني أنها ما زالت تهذي.

كيف هي؟ ماذا فعلت؟ أين هي؟ كانت أسئلته وهو يقترب رويداً رويداً من بؤرة اليقظة والواقع.. ينظر إليها بعين الرأفة والحب، وقد نظرت إليه من قبل بعين التضحية والحب، انشرح صدر طبيب التخدير وهو يسمع أسئلته وهو يضيف دواء لحقنته ليحقنه في الأنبوب المتصل بالوريد.

كان كل واحد منهما في غرفة مستقلة في المستشفى، وقد فات يومٌ حرج في العناية المركزة قبل أن يبدي السؤال، لقد كانت نعم الزوج؛ تقدمتُ إليها ولم يكن لي منزل للزوجية وأصرت هي في وقت الزمن الجميل أن نتزوج في فندق قبل أن نسافر.. وهنا في زمن الغربة وقفت معي تصبرني وتؤازرني، وتشاركني الحياة، وتشاطرني الواجبات في تربية الأولاد، وحين مرضت كانت تهديني البلسم وتعلمني الرضا، كالملاك الطاهر والصدّيقة الزاهدة والزهرة الفواحة، وكان آخر ما فعلت لي فوق الوصف.

كان هو نسمة الهواء البارد في حر الغربة، كان مقلة العين التي أرى بها، كان أهلي وأنسي وراحتي، لا يشتكي رغم ما يعانيه، رأيتُ فيه تواضع العلماء ورضا المقربين وحب العارفين، كان ذا فؤاد رقيق وقلب لين، صبر على ابتلاء الله بلا شكوى ولا أنين عسى الله أن يرفع درجته، بدأت دموعها تنهمر من سحب فيض الرحمة الزوجية وهي تبتهل إلى الله تعالى على سريرها أن تُكتب له الحياة وأن يتم الله له الشفاء، ما رأيت منه إلا كل الخير وأود أن أفديه بالجسد والروح.

كانت أسئلتها عنه وأسئلته عنها تلقى آذاناً صاغية ولكن بإجابة عامة غير شافية.

مر يوم آخر وعاد السؤال ولم تطمئنها الإجابة، أرادت أن تراه رأي العين، فقيل لها: إنه قد خرج للتو من غرفة الإنعاش وممنوع الزيارة.

– أنا لست زائرة.. أنا هو.

وأراد هو أن يراها فقيل له: إنها لا تستطيع أن تتحرك بعد، وأنت ما زلت في حالة حرجة، كان يشعر رغم ذلك بأن جسده يتجدد وأعضاءه يتولد منها توازن عجيب يسكب في نفسه قوة وراحة، إن الفضل لله ثم لزوجته فيما يحدث، يود أن يذهب إليها حيث ترقد في المستشفى ليعبر له عما يجيش في صدره ولو أنه لا يوجد فيه ما يكفي لإظهار الشكر.

نظر إلى كمّ الأجهزة والأنابيب وأصواتها وصورها وحركتها وهي متصلة بجسده كأنها تقيده في محبسه، ولكن روحه الحرة أخذت ترتفع وتدور في آفاق وردية جميلة هي الصفاء بعينه، والطمأنينة بذاتها، لقد كان وفاؤها وتضحيتها فوق ذلك كله، ابتسم بسمة الرضا ونام.

استيقظ كأنه في منام جميل، حيث شعر كأنه وجد ضالته واكتمل قلبه وتمت نعمة الله عليه، وجدها بسريرها وقد جاءت إلى جواره في توازٍ تناديه: كيف أنت؟ ماذا فعلت؟

انتفَض.. أراد أن يتحرك ليأخذها في أحضان قلبه.. عرف عينيها الخضراوين اللامعتين بمسحة الدموع فوق غطاء الوجه الطبي.

لقد شرحت لكبير الأطباء الأمر وسمح لها بزيارة قصيرة، كان سريره مرتفعاً عن سريرها، أنزل سريره بحركة زر، ليرتفع سريرها ومقامها إلى عل، نظر كل منهما للآخر نظرة رحمة صادقة خاصة كأنما اهتزت لها الملائكة الراكعون الساجدون، مد يده اليمنى فاقتربت منها يدها اليسرى، تشابكت الأصابع فاتصلت المشاعر وسرى الحب بلا حاجز، وراح في ملكوت المعيّة.

– الحمد لله على السلامة.. قطع الصوت عليهما ما كانا فيه..

– الحمد لله.. كلية المدام التي تم زرعها فيك تعمل بكفاءة عالية.■

حضارتُنا عِلْمٌ وإبداعُ

شعر: د. عبدالرحمن علي الحَجّي

العِلْمُ سَمْتٌ كريمٌ فيه إبداعُ ... سَمَا به عالياً وهو أنواعُ
فوَرْدُهُ عامرٌ يَحْيَا النشيدُ به ... في كل يوم تَراهُ يَنْمُو إمتاعُ
حَفَتْ به الأشجارُ مِنْ أرْدانِه ... فياله حَلْبةٌ تَحْمِيه أشياعُ
إذا ارْتَقَتْ عُلُواً فوقَ هامَتِها ... تَرَى حَقيقتَهُ يَرقاها إشباعُ
يا نفحةَ الوُجْدانِ طيري نَحْوَهمْ ... بل هَلِّلي عالياً فالعِلْمُ جَمّاعُ
قامَتْ به أرْضُهُ تَرْوِي مُداعبةً ... يَحْكِيه ماضٍ تَرْفَعُهُ أوضاعُ
أليس ذاك عجيباً لا تُمَارِسُهُ ... تَبْقَى وحيداً خُلُوّاً منه أنْجُاعُ؟!
في أرضِه مُثُلاً قامَتْ مَرابِعُهُ ... تدعو الزمانَ عبوراً وهو وَلّاعُ
به تَمُوجُ من الجِنانُ عافيةً ... تَدفقُ الماءِ حُنُوّاً فيه أضلاعُ
ثِمَارُهُ تَرْتَوِي دوماً بلا تَعَبٍ ... فوقَ الرؤوسِ تَراها وهي أوْساعُ
عَطاءٌ يُباهِي المَجْدَ أجْمَعَهُ ... كي يَرْفَعَ العِبْءَ للثِّقْلِ دَفّاعُ
وُقُوفاً بذاتِ المَوْجِ يَدْفَعُهُ ... عَمّا يَدُورُ من التمكينِ إبداعُ
عليه دَوْماً قامتْ حَضارَتُنا ... لكنه فارقٌ في النوعِ لَمّاعُ
بِنَاؤُهُ بعونِ اللهِ مُنْدَرِجٌ ... في كُلِّ حالٍ من الأحبابِ أتباعُ
به تَمَيَّزَتْ أُمّةٌ حَوْلَهُ جَمَعَتْ ... عُلوماً بهدي الله تَرعَاهُ أنفاعُ
تَهْفُو النفوسُ لهُ كُلَّ ناحيةٍ ... تَسْعَى به ودَرْبُ الخيرِ وَسّاعُ
ذاكَ فرقٌ كبيرٌ قامَتْ مَباهِجُهُ ... آفاقُهُ عُرِفَتْ بالبِرِّ أرْفاعُ
مَدارِجُ الخيرِ عِزٌّ مَمْكَنَةٌ ... يُعْلِي الحياةَ دواماً وهو رَضّاعُ
بذاكَ الفَهْمِ ساحاتُهُ امتلأتْ ... فيها وفاءُ العِلْمِ والخَوْفُ يَرْتاعُ
شَقُّوا الرّوافِدَ والإبداعُ مَرْكَبُهُم ... تَجْرِي سَفائنُهم بحراً وإقْلاعُ
هذا بيانٌ لِمن يُريدُهُ أملاً ... يُحْيِي النفوسَ جديداً فيه إيقاعُ

هذا ما يريده الأمريكيون من «ترمب» في الشرق الأوسط

بينما يحاول الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» إحياء الدبلوماسية سعياً لإيجاد حل سلمي للنزاع «الإسرائيلي» الفلسطيني، ينقسم الرأي العام الأمريكي بخصوص ذلك الحل.

بقلم: شبلي تلحمي(*)
ترجمة: جمال خطاب

أستاذ كرسي أنور السادات للسلام والتنمية في جامعة ميريلاند، وزميل غير مقيم في معهد بروكينجز. أحدث كتبه هو «العالم من خلال عيون عربية: الرأي العام العربي وإعادة تشكيل الشرق الأوسط».

٥٧٪ من الجمهوريين يؤيدون ميل «ترمب» لـ«إسرائيل» و٧٠٪ من الديمقراطيين والمستقلين يؤيدون الحيادية

إنهاء النزاع السوري يفوق إنهاء الصراع «الإسرائيلي» الفلسطيني بين أولويات الجمهور الأمريكي

في استطلاع للرأي العام أجري عندما كان «ترمب» يزور الشرق الأوسط، وجدنا أن الأمريكيين منقسمون بالتساوي تقريباً حول ما إذا كانوا يريدون رؤية حل الدولة الواحدة أو حل الدولتين للصراع الفلسطيني «الإسرائيلي»، وهل «ترمب» منصف في دبلوماسيته في الشرق الأوسط؟ وإذا لم يعد ممكناً حل الدولتين، فإن ثلثي الأمريكيين يفضلون «إسرائيل» ديمقراطية، يعيش فيها العرب واليهود متساوين تماماً، حتى لو كان هذا يعني أن «إسرائيل» سوف لن تبقى كدولة يهودية.

وكما هي الحال في جميع القضايا تقريباً اليوم، فإن الانقسام عميق في بعض جوانب الصراع «الإسرائيلي» الفلسطيني، ولكن ليس على الإطلاق، فمعظم الجمهوريين (٥٧٪) يريدون أن يميل «ترمب» نحو «إسرائيل»، وعلى النقيض يرى نحو ٧٠٪ من الديمقراطيين والمستقلين أن على «ترمب» ألا يميل نحو أي من الجانبين، ولكن من اللافت للنظر أن أغلبية الجمهوريين والديمقراطيين (وكذلك المستقلين) يؤيدون الديمقراطية «الإسرائيلية» على يهوديتها إذا لم يعد حل الدولتين ممكناً.

أما بالنسبة للدول العربية، فإن الأمريكيين لديهم وجهة نظر أفضل تجاه الأردن؛ حيث يعطونه ٦٤٪، مقابل ٥٥٪ لمصر، و٤٧٪ للمملكة العربية السعودية، وبالمقارنة يرى ٧٢٪ من الأمريكيين أن «إسرائيل» هي الأفضل، ويذكر أن المملكة العربية السعودية مدرجة كأفضل حليف للولايات المتحدة بين الدول العربية، وحصلت على نسبة ٣٥٪ (من المحتمل أن تكون النسبة متأثرة بزيارة «ترمب» للمملكة أثناء الاستبيان)، يليها الأردن (٢٠٪)، ومصر والإمارات العربية المتحدة متساويتان (١١٪ لكل منهما).

ولا يزال الأمريكيون يرون أن قتال «الدولة الإسلامية» (داعش) هو القضية الرئيسة التي تواجه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

ورداً على سؤال لاختيار أهم مسألتين تواجههما الولايات

المتحدة في الشرق الأوسط، اختار ٧٤٪ قتال «داعش»، و٤٨٪ اختاروا إنهاء النزاع السوري، و٢٤٪ اختاروا تحقيق السلام «الإسرائيلي» الفلسطيني، و٢٣٪ اختاروا تحديد طريقة لبناء ائتلاف لمواجهة إيران، و١٨٪ اختاروا تأمين الحصول على صفقات تجارية مواتية، و٦٪ فقط هم الذين يريدون تحديد طريقة لإنهاء الصراع في اليمن.

القضية السورية

ويلاحظ أن إنهاء النزاع السوري يفوق إنهاء الصراع «الإسرائيلي» الفلسطيني بين أولويات الجمهور الأمريكي، ربما لأنهم يرونه مرتبطاً مباشرة بأولويتهم العليا في هزيمة «داعش».

وبعد خمسة أسابيع من الضربة الأمريكية لقاعدة تابعة للقوات الجوية السورية رداً على الأدلة التي تفيد بأن «الأسد» استخدم أسلحة كيميائية ضد شعبه، فإن الأمريكيين يرون أن هناك تغيراً طفيفاً في النزاع السوري؛ عموماً قال ٧٢٪: إنه لم يحدث أي تغيير، بما في ذلك ٦٤٪ من الجمهوريين، و٧٧٪ من الديمقراطيين، و٧٩٪ من المستقلين، وقال ١٥٪ فقط: إنها تغيرت إلى الأفضل، منهم ٢٨٪ من الجمهوريين، و٥٪ من الديمقراطيين، و٧٪ من المستقلين، وبالعكس، قال ١٢٪: إن الضربات الأمريكية غيرت الصراع السوري إلى الأسوأ، منهم ٦٪ من الجمهوريين، و١٧٪ من الديمقراطيين، و١١٪ من المستقلين.

قضايا الداخل

من هذا يتضح أن «ترمب» يواجه عقبات دبلوماسية هائلة في السعي لتحقيق السلام الفلسطيني «الإسرائيلي»؛ فكثيرون في الحكومة «الإسرائيلية» يعارضون علناً حل الدولتين أو إنهاء المستوطنات في الضفة الغربية، ولا يزال الفلسطينيون منقسمين بشدة، والعالم العربي مشغول بنضالاته الداخلية، وكذلك تحديات احتواء نفوذ إيران ومواجهة «داعش» و«القاعدة»، بيد أن الاستطلاع يظهر أيضاً أن هناك قضايا يتعين على «ترمب» مواجهتها في الداخل ليتمكن من تحقيق النجاح؛ وهي:

أولاً: في الوقت الذي يعتقد الأمريكيون أن السلام «الإسرائيلي» الفلسطيني مهم، يرون مواجهة «داعش» ومعالجة الصراع السوري لها أولويات أعلى، ولبذل الطاقة التي سيحتاجها للتوسط في السلام في الشرق الأوسط، يحتاج الرئيس إلى إقناع الأمريكيين بأن القضية تستحق وقته واهتمامه، وقد بدأ ذلك من خلال الحجج التي دفع بها في بيت لحم بأن السلام الفلسطيني «الإسرائيلي» سيحقق السلام الأوسع في الشرق الأوسط، ويساعد على هزيمة «داعش»، ولكن الجمهور الأمريكي متشكك، وكذلك حلفاء للرئيس مثل رئيس الوزراء «الإسرائيلي» «بنيامين نتنياهو»، الذي يعتقد أنه لا توجد مثل هذه الصلة الإستراتيجية.

ثانياً: إن الانقسام الحزبي الأمريكي يشكل تحدياً لـ«ترمب»؛ ففي حين أن ٦٠٪ من الأمريكيين عموماً يريدون «ترمب» أن يكون عادلاً في دبلوماسيته، فإن قاعدة «ترمب» (٥٧٪ من الجمهوريين، و٦١٪ من ناخبي «ترمب»، و٦٢٪ من مشاهدي «فوكس نيوز»، و٦٥٪ من الجمهوريين الإنجيليين) يريدون منه أن ينحاز لـ«إسرائيل».

وفي استطلاعات الرأي السابقة، يقول الجمهوريون أيضاً: إنهم معجبون برئيس وزراء «إسرائيل» أكثر من أي زعيم وطني أو عالمي آخر غير «ترمب» نفسه، ويقول «ترمب» نفسه: إنه يفهم أن الحل الوسط سيكون ضرورياً، ولكن القاعدة التي يحتاجها تريده أن يكون منحازاً لجانب ضد الآخر؛ مما يوحي بأنهم يختلفون مع الرئيس في هذه النتيجة.

ثالثاً: الكثير من تركيز «ترمب» على إيران أثناء زيارته للسعودية و«إسرائيل»، وفي الوقت الذي تعتقد هاتان الدولتان أن إيران هي أولويتهما الإستراتيجية العليا، لا يصنف الجمهور الأمريكي إيران على رأس أولوياته، وهذا بالطبع يمكن أن يتغير لو ركز «ترمب» على إيران، لكن الأمريكيين في الوقت الراهن قد يتلقون إشارات متناقضة، وهم يرتبون «داعش» كأولوية أعلى من إيران، وفي سورية، يرون إيران هي عدو «داعش»، لكن حلفاء «ترمب» في السعودية و«إسرائيل»، وليس الجمهور الأمريكي، يصنفون إيران كأولوية أعلى من «داعش»، وهي رسالة يبدو أن «ترمب» يحتضنها في خطاباته في الشرق الأوسط.

رابعاً: في حين أيدت أغلبية طفيفة من الأمريكيين الضربات على سورية (بما في ذلك الأغلبية الساحقة من الجمهوريين)، وبعد أسابيع قليلة، لا يرى الجمهور الأمريكي نتائج في قضية يرى أنها تحتل مرتبة عالية في أولوياته، هل سيعود هذا ليطارد «ترمب»؟

وأخيراً: من اللافت للنظر أن الحصول على صفقات تجارية مواتية لا يعتبر أولوية قصوى للأمريكيين في الشرق الأوسط، وإذا كان «ترمب» قد شدد في الرياض على ١٠٠ مليار دولار كصفقات تجارية مع السعوديين، وتحدث عن خلق الوظائف – وهو محور رسالته – إلا أن الأمريكيين يرتبون القضايا المطروحة هنا هكذا: «داعش» ثم سورية و«إسرائيل» وفلسطين وإيران كأولويات أعلى.

جدير بالذكر أن منهجية الدراسة كانت دراسة استقصائية للبالغين في الولايات المتحدة، أجراها مركز استطلاعات القضايا الحرجة بجامعة ميريلاند من خلال استطلاع للرأي قام به «نيلسن سكاربورو» من ١٩ – ٢٢ مايو، مع عينة وطنية تتكون من ٢٦١٦ مستطلعاً، وهامش خطأ زائد أو ناقص ٢,١٪. ■

«ترمب» يفهم أن الحل الوسط ضروري لكن قاعدته تريده أن يكون منحازاً لجانب ضد الآخر

الحصول على صفقات تجارية لا يعتبر أولوية قصوى للأمريكيين في الشرق الأوسط

بيانات استقصائية تكشف أن الجمهور الأمريكي يعارض الكثير من إستراتيجيات الرئيس

(*) المصدر مجلة «بوليتيكو» (https://goo.gl/xT27Ws).

فلسطين في القرآن الكريم

فلسطين أرض مباركة مقدسة، هي مهد الرسالات السماوية، اختارها الله عز وجل دون غيرها ليبعث فيها معظم الرسل والأنبياء، وهي منتهى الإسراء ومبتدى المعراج، فهي بوابة السماء، وهي أرض المحشر والمنشر.
ذكر الله تعالى فلسطين في كتابه الكريم بصفاتها الشريفة في عدة مواضع نذكرها في هذه العجالة:

د. إبراهيم أحمد مهنا
عضو هيئة علماء فلسطين في الخارج

القرآن الكريم وصف فلسطين بأنها الأرض المباركة والمقدسة وأرض المحشر

المراد ببركة أرض فلسطين جعل الخير فيها ثابتاً دائماً لأهلها وقد وصفها القرآن بذلك ٥ مرات

أولاً: الأرض المباركة:

والبركة ثبوت الخير الإلهي فيها، قال ابن جرير الطبري: إن المراد بالبركة هو جعل الخير فيها ثابتاً دائماً لأهلها، وقال الشوكاني في معنى البركة: إخراج الزرع والثمار فيها على أتم ما يكون وأنفع ما ينفق، وقال غيره: أي بالأنهار والثمار والأنبياء والصالحين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الأرض التي بارك الله فيها هي فلسطين والأردن، وقال السهيلي: قوله تعالى: (الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الإسراء:١) يعني الشام، ومعناه في السريانية الطيب لطيبه وخصبه، وقيل: سُمي الشام مباركاً لأنه مقر الأنبياء وقبلتهم ومهبط الملائكة والوحي وفيه يحشر الناس يوم القيامة، وروي عن الحسن البصري وقتادة: إنها أرض الشام، وعن زيد بن أسلم قال: هي قرى الشام، وعن عبدالله بن شوذب: فلسطين، وعن كعب الأحبار قال: إن الله بارك في الشام من الفرات إلى العريش.

وذُكرت فلسطين بهذه الصفة في خمسة مواضع؛ وهي:

١- (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾). (الإسراء).

٢- (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾) (الأعراف).

٣- (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾) (الأنبياء).

٤- (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾) (الأنبياء).

٥- (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴿١٨﴾) (سبأ).

ثانياً: الأرض المقدسة:

والأرض المقدسة أي: المطهرة، قال الراغب: البيت المقدس أي المطهر من النجاسة؛ أي: الشرك، وكذلك الأرض المقدسة، قال الزجاج: إن الأرض المقدسة هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وعن قتادة: إنها الشام، وروى ابن عساكر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن الأرض المقدسة ما بين العريش إلى الفرات.

وذكرت فلسطين بهذه الصفة في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾) (المائدة).

ثالثاً: أرض المحشر:

قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ) (الحشر:٢)، والمراد بأول الحشر أي جمعهم في الدنيا في بلاد الشام، والمقصود بأهل الكتاب هنا بنو النضير حينما أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن المدينة، وذكر عن الزهري أنه قال: كان جلاؤهم أول الحشر في الدنيا إلى بلاد الشام، وقال ابن زيد: لأول الحشر الشام، وروي كذلك عن قتادة وذكر ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من شك في أن أرض المحشر هنا - يعني الشام - فليقرأ هذه الآية ثم ذكرها.

رابعاً: الإشارة إلى فلسطين دون ذكر صفة من صفاتها:

وجاء ذلك في عدة مواضع كما في قوله تعالى:

١- (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴿٤﴾) (الإسراء)، ذكر الشوكاني في تفسير الآية أن المراد بالأرض أرض الشام

وبيت المقدس.

٢- (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾) (الأنبياء)، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالأرض المقدسة أرض الشام وفلسطين، ووافقه في ذلك الشوكاني، وذكر مجيد الدين الحنبلي في أحد الأقوال: إنها الأرض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾) (يونس)، والمراد هنا بالمبوأ: المنزل المحمود المختار، وهو منزلهم من بلاد الشام الجنوبية المعروفة بفلسطين.

٤- (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾) (التين)، ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المقصود بالتين والزيتون المدن التي تكثر زراعتهما فيها، فعن كعب أن التين دمشق والزيتون بيت المقدس، وعن شهر بن حوشب: الزيتون الشام.

خامساً: ذكر مناطق في فلسطين:

أشار القرآن الكريم إلى بعض مناطق فلسطين ومن ذلك قوله تعالى:

١- (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾) (المؤمنون)، أخرج ابن جرير عن مرة النهزي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الربوة الرملة»، وعن ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنها (أي الربوة) الرملة من فلسطين، وقال قتادة وكعب وأبو العالية: إنها بيت المقدس.

٢- (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾) (مريم)، ذكر المفسرون في معنى الآية أن مريم تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم بينه وبين إيليا أربعة أميال، وإيليا أحد أسماء بيت المقدس.

٣- (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾) (ق)، روي عن ابن عباس في معنى قوله: «من مكان قريب»؛ أي من صخرة بيت المقدس، وقال قتادة: كنا نحدث أنه ينادى من صخرة بيت المقدس، وقال الكلبي وكعب: وهي أقرب الأرض إلى السماء.

٤- (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾) (البقرة)، اختلف العلماء في تعيين القرية، فقال الجمهور: هي بيت المقدس، وقيل: أريحا من بيت المقدس، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الباب المذكور في الآية يدعى باب الحطة من بيت المقدس.

٥- (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) (البقرة: ٢٥٩)، ذكر القرطبي أن القرية المذكورة هي بيت المقدس في قول وهب بن منبه وقتادة وغيرهما، والذي أخلى بيت المقدس حينئذ بختنصر، وكان والياً على العراق، وكذلك وافقه الشوكاني وجمهور المفسرين.

٦- (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ) (البقرة: ٢٤٩)، ذكر قتادة في المراد بالنهر الذي ابتلاهم الله به هو نهر بين الأردن وفلسطين، وذكر الشوكاني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نهر الأردن، وعن ابن عباس أيضاً أنه نهر فلسطين.

٧- (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾) (النمل)، ذكر الرازي أن وادي النمل واد بالشام كثير النمل، ويقع هذا الوادي بجوار عسقلان.

نسأل الله عز وجل أن يستعملنا في تحرير هذه الأرض المباركة المقدسة، ليصدق فينا ذكر ربنا عز وجل أن هذه الأرض يرثها عباده الصالحين، ولن يكون ذلك بالأماني والأحلام، ولكن بالعمل الجاد الدؤوب، وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.■

الأرض المقدسة هي المطهرة والمقصود بها في القرآن دمشق وفلسطين وبعض الأردن

المقصود بالتين والزيتون في القرآن المدن التي تكثر زراعتهما فيها

٧ مناطق من فلسطين ذكرت في القرآن منها الربوة والمكان القصي ووادي النمل

كيف أحمي أولادي من «الشذوذ الجنسي»؟(٢)

تساؤلات وردود

أ.د. يحيى عثمان

يمكنك إرسال استشارتك على أحد العنوانين البريدين التاليين:
info@mugtama.com
yahthman1@hotmail.com

أخي القارئ الكريم، كنت أود أن أنهي هذا الموضوع بالإجابة عن السؤال كيف أحمي أولادي من «الشذوذ الجنسي»؟ ولكن هالني ليس فقط حجم التساؤلات حول الموضوع! ولكن نوعية الأسئلة، وسأحاول الإجابة عن بعضها، ويمكن للقارئ الكريم مراسلتي على الخاص لو أراد.

● هل يقتصر الشذوذ الجنسي على ما تفضلت بإيضاحه فقط على العلاقات المثلية؟ وما مسؤولية الفرد عن فعله؟

– من حيث المسؤولية، سبق أن أكدت في العدد السابق أن الشاذ مسؤول مسؤولية كاملة عن فعله عندما تحدثت عن الشذوذ المثلي، وأؤكد هنا كل أنواع الشذوذ التي سنتناول الأشهر منها فقط، فرغم أن العلم أثبت إرادة الشاذ وحريته في فعله، وأن لا علاقة للجينات بالشذوذ؛ وبالتالي فهو انحراف سلوكي مسؤول عنه فاعله، فإننا نستند إلى مرجعيتنا الإسلامية، وهي أن الله عادل ولا يجازي بعقاب إلا عند حرية الاختيار.

سنعيد تعريف الشذوذ الجنسي بأنه أي علاقة محرمة (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾) (المؤمنون).

قد يقول قائل: إن الزنا علاقة محرمة شرعاً لكنها غير شاذة.

إن الشذوذ الذي أعنيه هنا أن الذي يستمرئ الزنا يتعود على شكل علاقة شاذة من محورين؛ محور نفسي وهو أنه لا يستثار ولا يصل إلى درجة الإشباع إلا من إحساسه بالمخالفة والتخفي وشعوره أنه يتعدى الحدود ويخترق ما هو ممنوع ويأخذ ما لا يحل له، وفي ذلك إشباع لشهوة السيطرة والغلبة والتعدي وما يصاحبها من توجس واضطراب، فيرتبط التصور الذهني للتهيئة الجنسية بهذه البيئة النفسية غير السوية؛ لذا فإن هذا النوع من الشواذ عندما يتناول زوجته الحلال في جو من الهدوء والاستقرار النفسي، فقد لا يستطيع أن يصل إلى درجة الإشباع والرضا، لذا فهو يتطلع إلى الاقتناص حتى ولو خادمته أو زوجة صديقه، المهم هو بيئة الاضطراب النفسي التي تثير عنده الرغبة.

أما المحور الآخر، فهو يتعلق بكيفية العلاقة، فالمرأة البغي أو التي تقبل بعلاقة محرمة، التي من المتوقع ألا تقتصر على شريك واحد سيكون لديها من الأساليب بل والمبالغات الجنسية ما لم تعلمه أو تتقنه الزوجة، فلا يمكن مقارنة من تحترف الجنس أو من تنحرف تلبية لرغبة، والزوجة مهما اعتنت بعلاقتها الحميمية مع زوجها، فما بالنا بمن تهمل هذا الجانب المهم من العلاقة الزوجية بحجة رعاية البيت وتربية الأبناء؟!

شتان بين الشاب الذي قد يضعف وتزل قدمه ثم يتذكر الله فيتوب، ومن يتخذ الزنا ديدناً، والشيطان يسول ويبرر له خطيئته، مرجئاً التوبة لحين زواجه، ولا يدرك أنه باتباعه طريق الغي وإصراره على معصية الله قد دمر نفسه ورسخ في وجدانه النموذج الشاذ للعلاقة الجنسية، بحيث يصعب عليه بل قد يستحيل عليه القيام بها في إطار الحلال الطيب.

لقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من الإصرار على المعصية حيث قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

● يا دكتور.. كيف أحمي زوجي من جنس الإنترنت؟

– لذا، سنتناول نوعاً آخر من أنواع الشذوذ أو الانحراف الجنسي، وهو ما يعرف بالجنس الافتراضي (Virtual Sex)، نسبة إلى ما أوجده الإنترنت من العالم التخيلي الذي أطلق عليه «العالم الافتراضي».

استغل أولياء الشيطان ما تتيحه شبكة الإنترنت من تواصل عالمي فانتشرت

المواقع القذرة، كما استغل ضعاف الإيمان ما تتيحه أدوات التواصل الاجتماعي من إخفاء شخصية أصحاب الحسابات -لحد ما- بالتواصل الإباحي، وقد تنوعت وتطورت أساليب التواصل الإباحي من صوت وصورة وفيديو وبث حي، كما ساعد التطور التقني مثل النظارة والكاميرا ثلاثية الأبعاد قليلي الإيمان على ممارسة ما يعرف بالجنس الافتراضي.

وهنا علينا أن نتذكر أن الله تعالى أمرنا بغض البصر؛ (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (النور).

فللأسف لم يعد ضعيف الإيمان في حاجة لأن يبحث عن المواقع الإباحية، فالشركات العالمية توظف الجنس من خلال عرضها لمنتجاتها من خلال الصور الجنسية التي تشير إلى المواقع الإباحية، بالإضافة إلى أن معظم التطبيقات الأساسية لتطبيقات النوافذ (Windows، Email، WhatsApp، Facebook) تحتوي على صور إباحية.

● كيف يتحول الإنسان الذي كرمه الله إلى شاذ بإدمانه الجنس الافتراضي؟ وما تأثير ذلك على الأطفال والمراهقين والمتزوجين؟

- هناك أسباب كثيرة، والسبب الرئيس فيها الذي بضعفه تفعل باقي الأسباب هو قوة الإيمان وما يترتب عليها من الخوف من الرحمن والإحسان الذي عرفة الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

أما تأثير ذلك على الأطفال، فللأسف إن انحراف الآباء أو انشغالهم عن الأبناء يتيح -وأؤكد مرة ثانية يتيح ولا أقول قد يتيح- للأبناء الاطلاع على صور إباحية التي عادة ما تكون مفتاحاً للفيديوهات، ومع حب الاستطلاع ومحاولة المحاكاة، ينعزل الطفل عن الأسرة التي للأسف ما ترتاح من إزعاجه بانفراده بـ«الآيباد» أو «الموبايل» في غرفته، ولا تعلم -وقد لا تكترث- بسقوطه في عالم الضياع.

الأخطار:

قد ينزلق الطفل عبر الإنترنت في شبكات دعارة الأطفال أو التعرف على العلاقات المثلية، لكنه على الأقل كوّن صورة شاذة عن الجنس في خياله، كما قد يحاول الطفل تقليد ما يراه، ويكون مهيأ نفسياً للتناول الجنسي أياً كانت الصورة، وبقدر ما سيظل أسيراً لهذا العالم المظلم بقدر ما يستحوذ عليه، وتزداد الشقة بينه وبين مفهوم العلاقة الحميمية الطبيعية الحلال في منظومة الزواج.

ناهيك عما تحدثه الإثارة المبكرة من التهاب للقشرة الكظرية، والأعضاء الجنسية التي في طور النمو.

أما المراهقون والشباب فهم أكثر الفئات عرضة في مجتمعاتنا، التي صعّبت الحلال، فوجدوا في هذا العالم متنفساً، بالإضافة إلى ما سبق من أخطار، فإن الشاب إما أن يعيش حالة الإدمان، ويجد في الوهم والخيال الجنسي تفريغاً لطاقته، أو باباً للتعرف على من يشاركه طريق الشيطان.

تأثيره على المتزوجين:

قد يبرر المتزوج تواجده في صفحات الغواية بأنه يريد أن يتعلم أو أنه يستثير نفسه حتى يقضي وطره مع أهله، كل ذلك من غواية الشيطان حيث سرعان ما ينزلق في الهاوية بمجرد طرْق الباب.

الأضرار:

إن المقارنة بين الصورة الذهنية لبنات الهوى على صفحات الضلال والزوجة ستكون لجانب الغواية؛ وبالتالي لن يجد مرتاد هذه المواقع الإشباع بزوجه، وقد يصل الأمر إلى أنه يتعمد اللقاء في الظلام، سائلاً زوجه ألا تتحدث حتى يمارس معها ما خزنته ذاكرته من الخيال الجنسي، وإن انفعلت زوجته وأفسدت عليه تخيلاته لا يستطيع الاستمرار.

من الحالات الشاذة التي عرضت عليّ أن زوجة تشتكي إدمان زوجها على الجنس من خلال الإنترنت مع ممارسة العادة السرية، وأنها كانت تحاول إغراءه بكل السبل طلباً لحقها الشرعي دون جدوى، وفي رأيي أن هذا الزوج الشاذ لو التقى بالنساء اللائي يمارس معهن الجنس من خلال الإنترنت فلن يستطيع؛ لأنه أدمن هذا الشكل الشاذ، فلن يستطيع الممارسة الطبيعية.

من واقع ما عرض عليّ من مشكلات عائلية، أرى أن هذا النوع من الشذوذ الجنسي هو الأكثر انتشاراً، وللأسف يقع فيه بعض من يدعون أنهم يؤدون العبادات من صلاة وصيام.. ولو كانوا حقاً يقيمون الصلاة لنهتهم عن الفحشاء والمنكر.

الآثار:

على مستوى الفرد يدمر إدمان الجنس الافتراضي فاعله ويبعده عن طريق الله، فيهبط مستواه المهني وتتقطع صلاته الاجتماعية إلا مع من هم على شاكلته، أما على المستوى العائلي فتنهار أسرته بانقطاعه عنها، وقد يكون سبباً في انحراف أسرته، فالزوجة إن لم يكن لها من الدين ما يعصمها، فقد يبرر لها الشيطان انحراف زوجها، أو قد يجرفها زوجها معه لتشاركه طريق الغواية، أو أنها تنأى بنفسها وأولادها عن هذا المستنقع من الرذيلة وتطلب الطلاق.

أما الأولاد فعادة ما يكتشفون فساد والدهم، فمهما بلغ من حذر إلا أن المصر على المعصية يفضحه الله، أو على الأقل هو في ملهاته مشغول عنهم، فلا قدوة ولا تربية، فالمحصلة ضياع الأولاد، وانهيار الأسرة.■

الذي يستمرئ الزنا لا يستثار ولا يصل إلى درجة الإشباع إلا من إحساسه بالمخالفة والتخفي

التطور التقني كالنظارة والكاميرا ثلاثية الأبعاد ساعد قليلي الإيمان على ممارسة ما يعرف بالجنس الافتراضي

ضعيف الإيمان ليس بحاجة للبحث عن المواقع الإباحية فالشركات العالمية توظف الجنس من خلال عرضها لمنتجاتها

التقرير

بقلم: د. يوسف السند

المعايير الإيمانية والتربوية للمؤسسة الربانية (٢)

ربانية العلم

إن العلم نبراس كل مؤسسة، ورائد لكل أمة، وقائد أمين لكل جماعة، وحافظ لكل فرد أو مجموعة؛ به تُحفظ الحقوق وتُدار الأمور، وتُستثمر الطاقات، ويُعرف بالعلم المحظور والمشروع والخير والشر والحق والباطل؛ «بإنزال التجارب الدعوية والحضارية والإبداعية على الواقع، والتماس طريق محدد للتطوير التنموي والسياسي والاجتماعي، وطرح حلول لتعقيدات الزمن المعاصر، ولنشاط الدعوة في عالم متنافس، وبرؤى عريضة شمولية تكافئ انتقال الدعوة الإسلامية إلى امتدادها العالمي» (محمد أحمد الراشد، عبير الوعي).

إن المؤسسة الربانية لتحتاج إلى العلم النافع لتطوير الأداء وتنمية العاملين بأحدث ما توصل إليه العلم الحديث؛ فمن لا علم له ولا فقه لديه يُفسد أكثر مما يصلح، بل وتتوقف بعجلة التنمية عنده لفساده واستبداده (وَاللَّه لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾) (البقرة).

وبالعلم تحقق المؤسسة العدل والميزان بين منتسبيها وروادها؛ فترفع المُجدّ وتكافؤه، وتقوي الضعيف وتنصحه، وتفتخر بالمتميز وتكرمه، وتوحد معايير التكريم والتميز والمكافآت المالية والأدبية وفيما يخص المناصب والدرجات، (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾) (الرحمن).

والعلم النافع في المؤسسة الربانية إنما هو غيث يتزود منه الأفراد عبر العلماء الربانيين الذين يُحسنون قيادة أنفسهم وذواتهم؛ فيكون الإبداع والتميز والإنجاز في أرض الواقع؛ واقع المؤسسة وواقع دنيا الناس؛ «فسفيان الثوري ما صار إماماً في التربية والزهد إلا بعد أن لمس الناس سعة علمه ودقة فراسته وصفاء قلبه وبشكل استثنائي يرتفع عن النموذج السائد بكثير، وكان ذلك شأن الحسن البصري قبله، في عشرات من المصلحين، وصلاح الدين إنما انتصر بهيبته ومروءته وسيماء العدل والإخلاص قبل أن ينتصر بسيفه، والقيادي في الدعوة الإسلامية شأنه شأن القدماء، لن ترجحه الخطط مهما كانت مُحكمة متقنة ما لم يتقدم لتنفيذها بنفس منفتحة، وروح طموحة، وقلب ثابت واسع نقي، وعلم بالواقع يظاهر علم الشرع ودلائل الإيمان، والإنجازات الكبيرة تنطلق من إنجاز روحي، ومن مذهب، وسويعات تفكر قرب محراب، والعَزَمات تقود النهضات» (محمد أحمد الراشد، رؤى تخطيطية).

إن سعي أفراد المؤسسة لنيل رضا الله سبحانه وتعالى في سكناتهم وحركاتهم وغدوهم ورواحهم هو الذي يجعل البركة الربانية والسكينة الإيمانية تظللان المؤسسة الربانية، وهذا الذي يجعل قلوب الناس تهفو إلى هذه المؤسسة الرائدة التي تحفظ كبارهم بالوعظ وشبابهم بالعلم وصغارهم بالتوجيه وتحيط الجميع بالرعاية والتربية وصدق الله: (وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾) (آل عمران)؛ «كونوا علماء عاملين مربين للناس مصلحين لأمورهم بسبب تعليمكم الكتاب المنزل للناس، وبما كنتم تدرسونه للناس حفظاً وفهماً» (جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم).

بربانية العلم يقترب طلابه من الجنة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً من طرق الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (مسلم، ٢٦٩٩).

والمؤسسة الربانية قريبة دائماً من الفقه والفقهاء، تنهل من معين علمهم، وتنال من فيض فهمهم، فهي تخوض في بحار الخير دائماً، ولا تغرق في وحل الشبهات والحرام، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين» (البخاري، ٧١).

وبالفقه تتحسن الأخلاق مع عظيم أداء العبادات؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «خيركم أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهُوا» (البخاري، ٥٦٨٨).

ثمار ربانية العلم في المؤسسة:

- بناء المؤسسة على تقوى من الله من حيث الأنظمة واللوائح.
- استمرارية النجاح والتجديد.
- المرونة في التعامل مع الخطط.
- سمو أخلاق الأفراد وتميزهم.
- قيادة الناس نحو الخير والسعادة.
- تقليل الاختلاف والنزاع.
- القضاء على الفراغ والاشتغال بالخير.
- التوجه نحو البناء والتربية.

والحمد لله رب العالمين.■